متنزهات أهل المدينة المنورة في العصر العثماني

(١٠٧٣ - ١٢٣٩هـ / ١٦٦١ - ١٨٢٣م)

(دراسة تاريخية)

د / سامح إبراهيم عبد الفتاح عبد العزيز

أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر

قسم التاريخ والحضارة / كلية اللغة العربية

فرع جامعة الأزهر

بالمنصورة

متنزهات أهل المدينة المنورة في العصر العثماني (١٠٧٣ - ١٢٣٩هـ / ١٦٦١ - ١٨٢٣م) (دراسة تاريخية)

سامح إبراهيم عبد الفتاح عبد العزيز
قِسْم التاريخ الحديث والمعاصر، كلية اللغة العربية بالمنصورة ، جامعة الأزهر ، مِصْر.
البريد الالكتروني: Samehabdalaziz.32@azhar.edu.eg

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إخراج بحث موثق عن متنزهات أهل المدينة المنورة في العصر العثماني، وتفتح نافذة جديدة على تاريخها الاجتماعي، تضاف إلى الدراسات الكثيرة عن التاريخ السياسي، في محاولة لرسم صورة قريبة من الواقعية عن المجتمع المدني في الماضي لاستعادة عبق التاريخ والوقوف على جذور الأعراف والتقاليد المدَنِيَّة الأصيلة التي ورثها الأحفاد عن الأجداد.

وقد اعتمدت على المنهج التاريخي في ترتيب الأحداث، والمنهج التحليلي؛ لاستقراء وتحليل نصوص المصادر ونقدها قبل الإفادة من مادتها، والمنهج الوصفي؛ لوصف المتنزهات وتحديد أماكنها وأوقات التنزه.

وأهم نتائج هذه الدراسة اكتشاف متنزهات أهل المدينة المنورة في العصر العثماني وتحديدها، ووصف ما اشتملت عليه من مرافق وخدمات عامة، وهي: المتنزهات الجبلية، ومتنزهات الحدائق العامة والبساتين الخاصة، متنزهات الأودية، ومن النتائج أيضاً الوقوف على أخلاق أهل المدينة وعوائدهم في التنزه.

الكلمات المفتاحية: المتنزهات الجبلية – البساتين والحدائق – متنزهات الأودية – أخلاقيات التنزه – المدينة المنورة في العصر العثماني.

Parks of the people of Medina in Uthman era (1073/1239 AH - 1661/1823 AD) Historical study

Sameh Ibrahim Abdel Fattah Abdel Aziz
Department of Modern and Contemporary History , Faculty of Arabic Language in Mansoura , Al-Azhar University , Egypt.
E-mail :Samehabdalaziz.32@azhar.edu.eg

Abstract:
This study aims to produce documented research on the parks of the people of Medina during the Uthman era.
And it opens a new window on its social history, to be added to the many studies on political history, And it opens a new window on its social history, which is added to the many studies on political history, in an attempt to paint a picture close to realism about civil society in the past to restore the fragrance of history and to stand on the roots of the original civil norms and traditions that the grandchildren inherited from their grandparents.
It relied on the historical method for arranging events, and the analytical method;
To extrapolate, analyze and critique the sources' texts before benefiting from their material, and the descriptive method.
To describe parks, locate them, and when to hike.
The most important results of this study are the discovery and identification of the parks of the people of Medina in the Uthman era and their identification, and a description of what they included in terms of public facilities and services, which are: mountain parks, public parks, private orchards, valley parks, and among the results also stand up the morals and returns of the people of Medina in hiking.
key words: Mountain parks - orchards and gardens - valley parks - hiking ethics - Medina in the Uthman era.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، سيدنا ونبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد حظيت المدينة المنورة بصفة خاصة بعناية المؤرخين على مر العصور الإسلامية، فهي محتضن الحرم النبوي ، ومستقر الرسول الكريم، ومهبط الوحي، ومنشأ الإسلام، ومأرز الإيمان، ودار الهجرة، ومقصد الزائرين، ومبدأ الحلال والحرام، عمرت بالوحي والتنزيل وتردد عليها الأمين جبريل؛ لذا تعاقب المؤرخون جيلاً بعد جيل يسطرون أحداث تاريخها فتركوا لنا كماً كبيراً من المؤلفات عنها، ولم يكن التأريخ لها يوماً حكراً على أبنائها، بل شاركهم غيرهم من علماء المسلمين كلٌ يدلي بدلوه، مما أدي إلى وفرة مصادر الكتابة التاريخية عن هذه البقعة المباركة.

غير إن عناية كثير من المصادر انصب بشكل أساسي على التاريخ السياسي مما أدى إلى قصور واضح في التأريخ للحياة الاجتماعية الأمر الذي استلزم البحث عن مصادر غير جديدة لسد هذا النقص ككتابات الزوار والرحالين التي تعددت مجالاتها وموضوعاتها، وعني أصحابها بتسجيل ملاحظاتهم وانطباعاتهم عن ثقافة وطبائع وأعراف المجتمعات التي زاروها فمدحوا الطيب من عاداتهم وأخلاقهم، ونقدوا غير ذلك، فالكتابات التي دونها العلماء والأدباء من زوار المدينة المنورة كانت عبارة عن تقارير مفصلة اعتمدوا فيه الأسلوب العلمي المبني على المعاينة الواقعية والإدراك المباشر البعيد عن الخيال، وهي بذلك تعتبر مصدراً مهماً في التأريخ للحياة الاجتماعية في المدينة المنورة –بجانب كتابات المؤرخين– بما تمتاز به الأولى من الموضوعية والحياد في أغلب الأحيان، وبما تقدم من وصف شامل لأحوال الناس المعيشية وممارساتهم اليومية ، وعاداتهم وأخلاقهم المجتمعية، خاصة ما يكون منها جديداً وغير مألوف لهم مما لا نكاد نجده في

المصادر التاريخية، فهم شهود عيان على البلدان التي زاروها، وبالأخص المدينتين المقدستين؛ مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

ولمكانة المدينة المنورة في نفوس ساكنيها وزائريها زيادة على فضلها، فقد رأوها جميلة متسعة الأرجاء، مشرقة الأنحاء، طيبة الهواء، كثيرة النخيل والماء- وهي كذلك- فدفعهم الحب إلى وصف كل ما وقعت عليه أعينهم فيها من الممارسات والتقاليد والعادات والأخلاقيات التي قد لا يعري لها البعض انتباهاً، حتى غدت كتابات هؤلاء عبارة عن سجل للحياة الاجتماعية بسبب اتصالهم المباشر والتحامهم بالناس، كما أن بعض الزوار طالت إقامته في المدينة المنورة ممن آثر الجوار ومكث فترة أتاحت له فرصة الانخراط في المجتمع والاطلاع عن كثب على عادات أهله وأخلاقهم [1]، فضلاً عن أن زياراتهم غطت أغلب أوقات السنة لدوران مواسم الحج مع الفصول الأربع طوال الفترة المحددة للدراسة.

ومن بين مظاهر الحياة الاجتماعية الهامة في المدينة المنورة ظاهرة التنزه التي لفتت أنظار هؤلاء فحصروا المتنزهات خلال تلك الفترة وقدموا لها وصفاً دقيقاً، كما وصفوا أحوال الناس خلال عملية التنزه ومدحوا أخلاقهم الحسنة التي اتصفوا بها مثل: الاقتصاد وعدم الإسراف، وعدم الاختلاط بين ذكور المجتمع وإناثه، واحترام الخصوصيات الأسرية أثناء الخروج للنزهة وغير ذلك من الفضائل التي سيأتي تفصيلها من خلال البحث.

وفي الوقت نفسه نقدوا بعض الممارسات السلبية التي وجدوها من البعض مثل: ميل بعض النساء إلى البذخ خاصة في المأكل والملبس.

وأما عن موضوع البحث وحدوده: فهو يتناول المتنزهات التي كان يخرج إليها أهل المدينة المنورة وزوارها في مواسم وأوقات محددة ذات أجواء وخصائص مناخية مناسبة وما يمارسونه من عادات خلال تنزههم وتنعمهم بالطبيعة وأجوائها، ووصفوا ما اشتملت عليه المتنزهات من مرافق خدمية شجعت وفود الناس عليها وارتيادهم لها لا سيما في مواسم المطر وما يصحبه من هواء عليل – طالما حرمتهم منه الطبيعة القاحلة طوال أوقات الصيف الحار – فعندما ينزل المطر

تسيل الأودية ، وتمتلئ القنوات ، ويعتدل المناخ ، وينبت الزرع ، وتكسو الخضرة بعض الجبال والأودية وتتحول جميعاً إلى متنزهات يخرجون إليها بأسرهم وعوائلهم ويسعدون ويتنعمون بطبيعتها.

كما كانت لهم في أوقات الحر الشديد بعض البساتين والحدائق التي كانت تفتح أبوابها فيقيلون فيها ويتنزهون برؤيتها ويستظلون بظلها الوارف في مجالس مهيأة لاستقبالهم، يشربون من آبارها ويشترون من ثمارها ويقضون يومهم تحت كروم الأعناب وأغصان الأشجار يقصون القصص النادرة وينشدون الأشعار الحكيمة وربما باتوا على هذه الحالة من السمر والمؤانسة ليلة أو أكثر في الوقت الذي كانوا يحافظون فيه على تأدية العبادة في وقتها فرضاً أونفلاً[٢].

ويبدو أن أهل المدينة المنورة خلال العصر العثماني ورثوا هذا الاهتمام بالترويح عن النفس واللهو المباح عن أسلافهم، إذ كان النبي –صلى الله عليه وسلم – يقول لعائشة – رضي الله عنها – في مواسم الأفراح: (مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ! فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعجِبُهُمْ اللَّهْوُ).[٣]

وعلى الرغم من ندرة المعلومات في مصادر تاريخ المدينة المنورة العام في العصر العثماني عن تفصيلات هذه الممارسات المجتمعية إلا أن أعين الزوار وأقلام الغرباء كانت بمثابة آلة التصوير التي رصدت هذه المتنزهات فوصفوا جمالها وتغنوا بها في أشعارهم التي ضمنوا كتاباتهم.

فالحدائق من المتنزهات العامة الدائمة التي تمتاز بأشجارها ونخيلها المثمر مع رائحة زهورها ورياحينها الزكية، كانت تستقبلهم في فصل الصيف بصورة شبه يومية يهربون من حرارة بيوتهم في دواخل المدينة المنورة ويلوذون بظلال هذه البساتين وبرودة أجوائها[٤].

كما حددت المصادر متنزهات المدينة الموسمية التي يتاح التنزه فيها خلال مواسم المطر، وهي في الجملة عبارة عن أودية تسيل فيها مياه الأمطار وتتحول وكأنها أنهار جارية يجلسون على ضفافها عدة أيام يقضون أوقاتهم الجميلة، ويتفرجون على جمال الطبيعة التي ينتظرونها طوال العام.

وفي بعض جبال المدينة كانت هناك متنزهات عامة لكنها كانت في الغالب موسمية أيضاً، مثل: متنزهات جبل أحد في موسم الربيع حيث يتجمع ماء المطر في خزانات تعلو الجبل وتنبت حولها النباتات ويجتمع هناك من أسباب التنزه ما لا يجتمع في غيره لشرف المكان وارتفاعه وإشرافه على المدينة المنورة، وعندئذٍ يصعد عليه الناس لمشاهدة المدينة المنورة من هذه النقطة المرتفعة ولا يزالون يترددون عليه طوال الموسم بأسرهم وأولادهم، فيأتون من أول النهار معهم طعامهم يطبخون ويأكلون.

وأما عن تحديد الفترة فمرتبط بمصادر البحث بداية من زيارة أبي سالم العياشي للمدينة المنورة سنة (١٠٧٣/ ١٦٦١م)، ونهاية بزيارة ابن عبد السلام الناصري لها في نهاية الفترة سنة (١٢٣٩هـ – ١٨٢٣م) وهي تغطي فترة كبيرة من العصر العثماني في المدينة المنورة.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه المتنزهات قد تكون معروفة لأهل المدينة قبل فترة الدراسة لكنها ظلت تؤدي دورها في التنزه ويخرج الناس إليها خلال الفترة محل الدراسة.

وتتمثل مشكلة البحث في سؤال رئيس تتفرع عنه عدة استفسارات.

والسؤال الرئيس هو: هل عرف أهل المدينة المنورة التنزه خلال العصر العثماني، وهل كانت لهم متنزهات محددة يخرجون إليها؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة منها:

١- ما الدوافع التي أدت إلى خروج أهل المدينة المنورة إلى المتنزهات؟

٢- هل يمكن تحديد متنزهات أهل المدينة، وأوقات التنزه، ومدته خلال العصر العثماني؟

٣- ما هي عادات أهل المدينة وأخلاقهم في التنزه خلال ذلك العصر؟

ويرنو الباحث من هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- فتح مجالات جديدة للباحثين في تاريخ المدينة المنورة الاجتماعي، تضاف إلى الدراسات الكثيرة عن التاريخ السياسي.

- إخراج بحث علمي عن متنزهات أهل المدينة المنورة في العصر العثماني يعتمد على كتابات زوارها ومشاهداتهم.
- استعادة عبق التاريخ لمعرفة جذور الأعراف والتقاليد المدَنِيَّة الأصيلة التي ورثها الأحفاد عن الأجداد.
- إخراج صورة قريبة من الواقعية للناس عن المجتمع المدني في الماضي القريب.

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى النقاط التالية:

١) تعلقه بتاريخ المدينة النبوية في فترة تاريخية قليلة المصادر.

٢) تخصص البحث في جانب دقيق من جوانب الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة خلال العصر العثماني (تاريخ المتنزهات وأخلاقيات التنزه) التي تجد عزوفاً عند بعض الباحثين في مجال الدراسات التاريخية لدقة الموضوعات وقلة المعلومات.

٣) قلة ما كتب في مصادر تاريخ المدينة العام عن أخلاق المجتمع المدني وتقاليده أثناء التنزه.

الدراسات السابقة:

وعلى الرغم من أهمية المدينة المنورة وكثرة ما كتب عن تاريخها إلا أن موضوع: (متنزهات أهل المدينة المنورة في العصر العثماني) لم يفرد بدراسة أكاديمية خاصة – على حد علمي– وإن كانت هناك بعض الدراسات عن الحجاز عامة أو عن المدينة المنورة في غير الفترة المحددة لهذا البحث، ومن هذه الدراسات:

أ – هشام عبد العزيز: ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة عام ١٢٠٢ هـ/ ١٧٨٨م من خلال الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية للمراد آبادي، بحث منشور في مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثانية، العدد الرابع، ١٤٣٥هـ، وهو بحث طيب أخذ بعض الملامح من الحياة الاجتماعية من خلال رحلة هندية واحدة، وفي عام واحد، ولم يتعرض فيه لمتنزهات المدينة المنورة ولا لظاهرة التنزه من قريب ولا من بعيد بحيث رأى الباحث بعض الملامح

الاجتماعية في المدينة المنورة من خلال عيون الرحالة الهندي المراد آبادي فقط، أما دراستي فتتخصص في متنزهات أهل المدينة طوال العصر العثماني وتعتمد على مصادر ومراجع متنوعة بين كتابات المؤرخين المقيمين وبين مشاهدات المجاورين والزائرين.

ب – بنان محمد صلاح الدين: أدب الرحلات من خلال مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ١٦٦١ – ١٧١٠م، بحث منشور في العدد الأول من المجلد التاسع، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ٢٠١٩م، وهو أقرب الدراسات لموضوع بحثي حيث اتفقا في ميدان تاريخ المدينة المنورة الاجتماعي غير أن الباحثة اهتمت ببعض الملامح الاجتماعية في المدينة المنورة ولم يكن للمتنزهات ولا لظاهرة التنزه إلا إشارات لم تتجاوز الصفحتين تحت عنوان التنزه والاستجمام.

وسأعتمد في هذه الدراسة – بمشيئة الله تعالى – على عدة مناهج منها: المنهج التاريخي في ترتيب الأحداث حسب وقوعها ترتيباً زمنياً، والمنهج التحليلي؛ لاستقراء وتحليل نصوص المصادر ونقدها قبل الإفادة من مادتها لتمييز الغث من الثمين، والمنهج الوصفي؛ لوصف المتنزهات وتحديد أماكنها وأوقات التنزه وصوغ المادة العلمية بطريقة أدبية تخرج للمتلقي العادي والمتخصص في التاريخ بشكل علمي قريب من الحقيقة متصفة بالموضوعية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وأما عن خطة البحث فيشتمل على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة تعقبها قائمة بالمصادر والمراجع كالتالي:–

المقدمة: وفيها التعريف بالموضوع وسبب اختياره، ومشكلته البحثية، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث في إنجازه، وخطته.

والمبحث الأول: المتنزهات الجبلية.

المبحث الثاني: متنزهات الحدائق العامة والبساتين الخاصة.

المبحث الثالث: متنزهات الأودية.

المبحث الرابع: أخلاق أهل المدينة وعوائدهم في التنزه.

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

المتنزهات الجبلية

كانت الأماكن المرتفعة موضع جذب للمتنزهين من أهل المدينة المنورة خلال فترة الدراسة حيث تعتدل أجواؤها بما يناسب حال المتنزهات، كما كانت تشكل بارتفاعها مواضع مشاهدة لعمران المدينة بمبانيها وحدائق نخيلها ومنائر مسجدها النبوي الشريف في منظر بهيج لا يتوفر في غيرها من الأودية والسهول، كما كانت الجبال في الربيع عندما يغمرها ماء المطر ويكسوها العشب والكلأ تزدان ويزداد جمالها مع اللون الأخضر فوق صخورها البركانية السوداء (٥).

ومن هنا أخذت بعض الجبال ذات الموقع المتميز أهميتها في تاريخ المتنزهات المدنية ولعلنا نستطيع في الصفحات التالية أن نتتبع أهم هذه المتنزهات الجبلية.

جبل مفرّح:

وأول ما يطالعنا من جبال المدينة المنورة جبل مفرّح الذي يقع على بُعد كيلو متراً تقريباً (٦) من حدود حرم الشجر بالمدينة وهو أبعد الحرمين للقادم من جهة مكة المشرفة، يستبشر الزوار عند الوصول إليه ويسارعون في الصعود عليه لارتفاعه فيناظرون المدينة من فوق قمته وتكتحل عيونهم برؤيتها. وبالرغم من وعورته وصعوبة ارتقائه إلا أنهم حرصوا على ذلك ليبردوا نار الشوق لمنازل الحبيب – ﷺ– يقول العياشي: "وأول مكان ترى منه قبابها، وأسوارها، وتشاهد منه بالبصر والبصيرة أنوارها، الجبل المسمى بمفرّح، إذ لا يبقى بعد الصعود إليه همٌّ مبرح، فتسارع الناس عند الدنو منه وصعوده، وتباشروا برؤية منزل الرسول وشهوده، فلم يتخلف عن الصعود إليه إلا من لا قدرة له عليه".

ثم أورد فيه قصيدة طويلة كان مما قال فيها:

هـــذا مُـفَرِّح كاسمه وكـــأنـه
ياقـــوتة رُشَّـــتْ بذائـــب عـــنبر
وأمامه البيـــــداء يسطع نورُها
لبـصائرِ الـــزوَّار هـــل من مـبصر؟
وعلى يميـــنك قد بدا (عِيْرٌ[٧]) يُرَى
بالقُرْبِ كالثورِ العقير الأعْفَرِ
وأنخْ رِكـــابَك بـ (المُقَدَّس) إنه
لَمُبـــــاركٌ، وبمائـــــه فـتـطهَّرِ
واحْدُ الركابَ مع (العقيق) مُنَعِّمًا
عينيك في ذاك المكان النَّير [٨].

ووصف النابلسي زحام الناس عند صعوده وهم يتنافسون في الوصول إلى نقطة ترى فيها أعينهم أنوار المدينة المنورة بقوله: "كانت ساعة مهولة بازدحام الجمال والأحمال الثقال"[٩].

يتضح من خلال ما سبق أن في صعود هذا الجبل تسلية ونزهة للقادمين إلى المدينة من الجهة الجنوبية فعند وصول القادم إليه لا يسعه إلا الصعود والتنعم برؤية طيبة من هذا المكان المرتفع.

متنزهات جبل أحد:

يقع جبل أحد في الجهة الشمالية من المدينة المنورة، ويبعد عن الحرم النبوي بحوالي ٤،٥ كم تقريباً[١٠]، يراه الناظر من أي مكان فيها بامتداده من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي بطول يبلغ حوالي ٧ كم وعرض ٣ كم، وأما ارتفاعه فيصل إلى ٣٥٠ متراً[١١]، وفي شماله الغربي يقع جبل ثور وهو حد حرم المدينة من جهة الشمال، وفي جنوبه جبل الرماة، وعند سفحه الجنوبي تقع مقبرة شهداء غزوة أحد ومعهم سيدنا حمزة ﷺ [١٢].

وكونه أهم جبال المدينة، فقد حاز النصيب الأكبر من عناية الزائرين والمؤرخين ووضعوه في مقدمة المعالم التي ينبغي أن يزورها الحاج بنفسه ورغَّبوا القارئ في هذه الزيارة بجمع ما صح من الأحاديث النبوية في فضله[١٣] وفي وجوب حبه على كل مؤمن ومؤمنة[١٤].

وأكدوا على ارتفاعه وإن لم يحدد بعضهم مقاساً رقمياً لذلك إلا أن الإشارات الواردة عنه تؤكد على وعورته بصورة يستحيل معها ارتقاؤه على السقيم ويصعب جداً على الصحيح " فحصل لنا من التعب ما لم نر مثله قبله ولا بعده، لكن حلاوة منظر المدينة البهي وجمالها السمي ينسي الزائرين هذه المشقة"[١٥].

والجدير بالذكر أن أهل المدينة المنورة اعتادوا الخروج للجبل إذا نزل عليه المطر للتنزه وربما المبيت، وكانوا يحملون معهم أصنافاً كثيرة من الطعام والحلوى يأكلون منها ويطعمون الفقراء. وقد ظهرت هذه العادة خلال العصر المملوكي، ثم امتدت إلى العصر العثماني[١٦].

وقد سمحت طبيعة جبل أحد الصخرية الصمَّة بالاحتفاظ في بعض الأماكن بماء المطر مدة ينتفع بها المتنزهون في الشرب والوضوء وهي التي تسمى بالمهاريس[١٧]، وتقع شمال الغار في شعب هارون [١٨] وهي من أهم معالم هذا الجبل [١٩].

وقد وصف العياشي المهاريس التي شاهدها بقوله: "**المُهراس** وهو موضع في أعلى شعب هارون عند مضيقه من حيث يشرع الناس في الصعود وهو عبارة عن خزانات منقورة في الجبل بين صخور عظيمة يجتمع فيها المطر قلما يخلو منه طوال أيام السنة فينتفع بها الزائرون للشراب والوضوء"[٢٠].

وعلى الرغم من ندرة النبات في جبل أحد إلا أنه لم يخل منها تماماً حيث حرص الزوار أن يأخذوا من نبات الجبل وأزهاره يأكلون ويحملون معهم إلى بلادهم[٢١].

وتضيف المصادر بُعداً جديداً للتنزه في جبل أحد بما يضم من الآثار والمعالم القديمة التي تجلب إليه الزائرين مثل: قُبَّة هارون في قمة الجبل والتي تشرف من مكانها العالي على المدينة المنورة وما حولها من البقاع وفي هذا نزهة للناظرين، فيذهبون إليها عند مناسبة الأجواء، وهناك من يستغل وجوده في هذا المكان فيقوم للصلاة ويتلذذ بالعبادة، حيث يجتمع له في هذا الموضع ما لا يتحقق في غيره؛" فمستقبل القبلة من هذا الموضع فوق قمة الجبل يصير الحرم النبوي بين يديه، والقبة الشريفة أمام عينيه، وبقاع المدينة المشرفة كلها تلقاءه، ومكة تجاه وجهه، حتى إنه ليخيل له أنه مشرف على الحرمين الشريفين وما بينهما وما فيهما من الأماكن المشرفة"(٢٢).

ومع ما يعتري الصاعد إلى قمة الجبل من المشقة، لكنه بمجرد وصوله إلى هذا الموضع لا يشعر بغير التنعم والتلذذ بهذا المنظر البهي، والمحل السمي، الذي ينسي المشاهد ما حصل له في طريق الوصول"(٢٣).

ومن معالم السيرة النبوية تحت المُهراس قليلاً موضع الصخرة التي نهض النبي – ﷺ– ليعلوها وجلس طلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه– تحتها (٢٤) بالإضافة إلى آثار ومعالم باقية لبعض المساجد النبوية منها مسجد **الفَسْح**، الذي صلى فيه النبي – ﷺ– الظهر والعصر يوم أحد بعدما انتهى القتال وهو مسجد متهدم صغير ملاصق لأحد من أسفله على يمين الذاهب في طرف الشعب المؤدي **للمُهراس** على يمين الذاهب إليه، وفي البيداء بين مسجد الفَسْح ومقبرة الشهداء آثار مسجد آخر صغير مبني بالحجارة المنحوتة من صخور الجبل مرتفع عن الأرض أقل من قامة غير مسقوف ولا مرتفع الحيطان يقال له مسجد **الثنيَّة**(٢٥)، وفيه كُسرت رباعية النبي – ﷺ– . ومن المساجد التي تزار في أحد **مسجد جبل عينين**(الرماة)(٢٦) وهو يقع في ركن الجبل الشرقي على قطعة منه يقال في المكان الذي طعن فيه حمزة – رضي الله عنه– (٢٧)، ومسجد **رُومة** القريب من جبل أُحُد(٢٨).

كما يضاف إلى ذلك كله وجود بعض المرافق العامة عند الجبل شجعت على الخروج إليه، ومنها بناء متسع قريب من محل الشهداء فيه بئر ماء وأخلية[٢٩] للوضوء [٣٠]، بخلاف البئر الواقعة خارج مكان الشهداء والتي وصفت بأنها كبيرة وبإزائها صِفة مسجد تحته بئر ماء يهبط إليه بدرج[٣١].

كل هذه الإمكانات الطبيعية والمناخية والأثرية مع وفرة المرافق العامة جذبت المتنزهين إلى هذا المكان فأصبحوا يتوافدون عليه في الأوقات المختلفة للتنزه والتنعم وفي الوقت نفسه زيارة الشهداء رضي الله عنهم.

ولا شك أن توافر المرافق الخدمية –آبار للشرب، وحمامات لقضاء الحاجة، ومواضئ– أمر هام جداً يحتاج الناس إلى تأمينه بشكل كاف كي يساعدهم على البقاء مدة أطول وهم مطمئنون من هذه الناحية.

وبعيداً عن الزيارات الموسمية فقد كانت هناك زيارات أسبوعية وسنوية للتنزه عند جبل أحد، فأما الزيارة الأسبوعية فكانت كل يوم خميس، وربما باتوا هناك ليلته[٣٢]، وبسبب مداومة أهل المدينة المنورة على ذلك فقد شاركهم زوَّارها[٣٣].

وكان لأهل المدينة المنورة موسم كبير في شهر رجب من كل عام يخرجون بأولادهم ونسائهم، معهم الخيام والمضارب، ويخرج الأمراء بالعسكر، وينصبون الأسواق من بداية الشهر ثم يتلاحق الناس في اليوم الخامس أو السادس حتى يكتملوا في الثاني عشر منه، وهو اليوم المشهود عندهم فلا يبقى بالمدينة إلا أهل الأعذار ويقوم العسكر بحماية الطرقات من المدينة إلى أحد ويؤمنون الناس فيحصل لهم في هذه الليلة من أنواع اللهو والطرب واللعب والرمي بالمدافع والمحاريق، ويبيت الناس طول ليلتهم ويومهم في القراءة والزيارة حول القبر[٣٤]، ويوقد هنالك من الشمع شيء كثير[٣٥].

وكان هذا الاحتفال السنوي من الاحتفالات الكبيرة التي يشارك أهل المدينة فيه غيرهم من سكان الحجاز واليمن، وقد نقل لنا الرحالة أحداثه وعادة أهل المدينة فيه، يقول أبو سالم: "ولأهل المدينة موسم كبير في شهر رجب يحتفلون فيه لزيارة حمزة والشهداء– رضي الله عنهم– ويأتي الناس إليه من أقطار الحجاز

من مكة، واليمن، والطائف، والينبع فيحشر هنالك خلائق لا يحصون يقاربون ما يجتمع في موسم الحج[٣٦].

التنزه عند جبل سَلْع، ومسجد الأحزاب (الفتح[٣٧]):

وأما جبل سَلْع[٣٨] فقد اشتمل على عدة معالم شجعت المتنزهين من أهل المدينة وزوارها على التردد عليه وزيارته أهمها: ارتفاع الجبل مع قربه من المدينة المنورة وإشرافه على المسجد النبوي الشريف، واشتماله على مجموعة من المساجد والكهوف التي تعد من الآثار النبوية، وتوفر مرفق الماء العذب الذي يلبي حاجة الزوار من مياه الشرب، بالإضافة إلى بعض الحدائق والبساتين.

فأما عن ارتفاعه وقربه من المدينة المنورة فقد كانوا يخرجون إليه ويصعدون فوق درجاته في الكثير من المناسبات بقصد التنزه والتفرج والتنعم بمشاهدة المدينة المنورة عن قرب، وتزداد الاحتفالات بسفح الجبل في شهر شعبان حيث يخرج أهل المدينة ومعهم نسائهم إليه بالأخبية[٣٩] والأطعمة يقضون ليلة النصف في لهو وطرب وزحام شديد على عادتهم في الخروج إلى البساتين والأماكن المفسوحة، يطبخون الأطعمة الكثيرة التي يحبونها، وقد يبيتون على هذه الحال الرجال في الخلاء والنساء في المساجد[٤٠].

وأما به من مساجد فأولها مسجد الفتح الذي صلى فيه النبي – ﷺ– يوم الخندق ودعا فيه على الأحزاب فاستجيب له وهو مرتفع على قطعة من الجبل في جهة الغرب يصعد إليه بأدراج شمالية وشرقية، ويقال له مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى[٤١]، وقد اجتهد العياشي في تحديد الموضع الذي وقف عليه النبي – ﷺ– من الجبل، وذكر أن الجبل يشتمل على ثلاثة مساجد أخرى أحدها : منسوب لسلمان الفارسي ، والثاني : إلى علي بن أبي طالب، والأخير وهو أصغرها فمسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعاً، وعند باب مسجد علي المذكور توجد بركة ماء ينزل إليها بدرج[٤٢] .

ومن معالم جبل سلع التاريخية كهف سَلْع، أو غار بني حرام الذي كان النبي - ﷺ- يبيت فيه ليالي الخندق، وفي فترة الدراسة بُنيت عليه قبة عثمانية يحملها أربع أعمدة بالحجر ترتفع بمقدار قامة الإنسان المعتدل، وفي جهته الغربية فتحة في أسفل البناء مساوية لسطح الأرض، وموضعه عن يمين المتجه من المدينة المنورة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية بقرب شعب بني حرام وهو شعب متسع فيه آثار مساكنهم ومسجدهم الكبير[٤٣].

وقريب من سَلْع في جهة الشرق يقع مسجد كبير ينسب لمحمد النفس الزكية[٤٤] وفي قبلة المسجد منهل من مناهل[٤٥] العين الزرقاء [٤٦].

كل هذه المعالم الأثرية والمميزات الطبيعية جعلت جبل سَلْع من الأماكن المخصصة للتنزه عند أهل المدينة المنورة.

المبحث الثاني

متنزهات الحدائق العامة والبساتين الخاصة

كان النشاط الزراعي في المدينة المنورة خلال العصر العثماني من أهم الأنشطة الاقتصادية لوفرة مياه الآبار والعيون، والتربة البركانية الخصبة، حتى غدت عالية المدينة المنورة[٤٧] وأوديتها وضواحيها زاخرة بالحدائق والبساتين الوارفة، وكأنها بلدة خضراء تنتشر فيها الحدائق والبساتين فسيحة الأرجاء بديعة الأجواء خاصة حول الآبار، وكان أهل المدينة يتنزهون فيها شتاءً، ويستظلون بظلها صيفاً فيتنعمون بثمارها وبرودة أجوائها، ويشربون من مائها، ويأوون إليها بصورة شبه يومية هروباً من حرارة بيوتهم داخل الكتلة السكنية، فيقيلون داخلها ولا يبرحونها إلا في الساعات الأخيرة من النهار وربما تأخر بعضهم إلى ما بعد الغروب، وقد تعددت هذه الحدائق العامة والبساتين الخاصة في جهات المدينة المختلفة وفيما يلي أهم هذه المتنزهات.

أولاً: الحدائق العامة.

تعددت الحدائق العامة في أرجاء المدينة المنورة وضواحيها في الجهات المختلفة خلال فترة البحث وتوفرت فيها الإمكانيات الأساسية حتى غدت أماكن التنزه فيها متاحة للرواد بما اشتملت عليه من مرافق خدمية يحتاجونها أثناء خروجهم ومكوثهم الساعات الطوال، وغالباً ما كانت متمركزة حول الآبار العتيقة والمساجد الأثرية أو على الطرق المؤدية إليها، أو في الأماكن القريبة منها، الأمر الذي جذب إليها زوار المدينة مع أبنائها ووصفوها ضمن متنزهات المدينة المنورة، ومن هذه الحدائق العامة.

حديقة بُضاعة[٤٨]:

تقع هذه الحديقة خارج أسوار المدينة على بعد خمسمائة متر من الحرم تقريباً بين الباب الشرقي (باب البقيع[٤٩]) ، والباب الشمالي (باب الشامي الكبير) [٥٠] شمال غرب بئر حَاء في موضع قريب من سقيفة بني ساعدة على يمين الخارج من الباب المذكور متجهاً نحو طريق سيد الشهداء على مسافة أربع

دقائق بالمشي المعتاد فهو أقرب أبواب المدينة المنورة إليها، والطريق من السقيفة إلى البئر كانت عبارة عن زقاق ضيق يشاهده القادم على يساره إن كان آتياً من جهة السقيفة، وعند الحديقة مسجد وبركة تمتلئ من ماء بئر بُضاعة، يُروى منها زرعُها وما فيها من النخيل(٥١).

وقد توسعت الزراعات في هذه الحديقة وما حولها خلال فترة الدراسة حتى غدت من أنضر البساتين وأحسنها بها مزارع وحقول وسقيفة يمتلكها بعض أهل المدينة(٥٢)، ونظراً لقربها من الحرم النبوي ومركز المدينة المنورة فقد كان الناس يخرجون إليها بعد صلاة العصر يتنزهون فيها ويشربون ويتوضؤون من ماء البئر الذي يمتاز بعذوبته وصفائه وطيب رائحته، ثم يعودون وقت المغرب لإدراك الصلاة في الحرم(٥٣).

بستان الفيروزية:

ذكره النابلسي في سياق كلامه عن خروج أهل المدينة للبساتين يوم كنيس الحرم، وحدد موضعه شرقي بئر بُضاعة قريباً منه للقادم من جهة الباب المجيدي، دعاهم إليه أحد أصدقائه المجاورين فخرج في ضيافته إلى البستان المذكور يقول: "فبقينا إلى آخر النهار في كمال النشوة والسرور ثم جئنا فصلينا المغرب في الحرم الشريف"(٥٤).

كما ذكره كبريت ضمن الحدائق الواقعة شرقي جبل سَلْع (٥٥)، وقد ظل هذا البستان على هيئته ينتج التمر والفواكه والخضروات، وكان الزائرون يأتونه للنزهة حتى وقت قريب، ثم أزيل ليصبح ميداناً فسيحاً(٥٦).

حديقة المحكمة القديمة:

من أقرب الحدائق للمسجد النبوي من جهة مسجد أبي بكر -ﷺ-، وفيها بحرة ماء وبعض أشجار وإيوان لطيف يخرج إليها الزائرون يمكثون من بعد صلاة الفجر وقد يمتد ببعضهم الجلوس حتى قريب من الغروب ومنها يذهبون للصلاة في الحرم ثم يعودون لنزهتهم(٥٧).

حديقة أريس:

وتقع عند بئر أريس (بئر الخاتم) المقابلة لمسجد قباء في غربيه[٥٨] وتاريخ حفرها مجهول إلا أنها جددت وعمرت في العصر العثماني وبني فوقها قبَّة عالية مجصَّصة من الداخل والخارج وبجوارها قبة أخرى –جنوب قبة البئر – ذات محراب عليه كتابة باللغة العثمانية، ولها فتحة تطل على البئر ويستقي منها الناس أيضاً، وبجانب البئر حمَّام، وماء البئر غزير قد جعل له نفق من أسفلها على وجه الماء حتى يتصل بالعين الزرقاء القريبة منها[٥٩]، ومن جهته الشرقية كانت هناك بركة بديعة في وصفها محكمة في صنعها محفوفة الأشجار والأزهار تروى ما بها من أنواع الفواكه والثمار[٦٠].

ونظراً لوفرة المرافق الخدمية والماء العذب الخفيف والظل الوفير فقد غدت من أحسن حدائق منطقة قباء عمارة ونضارة، فيها إيوان كأنه إيوان كسرى، ومع ذلك فقد كانت مباحة للزوار فقراء أو أغنياء يقصدونها للقائلة والتنزه والتفرج والشراء من ثمارها إذ توفر بها عنب كثير طيب اشتهرت به قلما يدخل أحد وقت إنتاجه إلا ويشتري منه ويأكل، حتى ظن بعض العوام أن ذلك من القربات[٦١].

زارها أغلب الزوار الذين كتبوا عن المدينة في تلك الفترة فالعياشي أول من وصف ثمارها [٦٢]، وشرب النابلسي من مائها واستظل بظلها[٦٣]، ودخلها ابن ناصر الدرعي وشرب وتوضأ من ماء البئر وأثنى على عذوبته[٦٤]، وكذلك الورثيلاني زارها وشرب وتوضأ من بئرها وأكل من عنبها[٦٥]، ثم جاء ابن عبد القادر الفاسي وعاود الكلام عن عنبها وثمارها[٦٦].

وهذا يؤكد على أهمية هذه الحديقة على خارطة متنزهات المدينة المنورة طوال فترة الدراسة، فهؤلاء الرحالة زاروها في أوقات متباعدة ومع ذلك اتفقت كلمتهم على استمرار التنزه فيها.

حديقة بئر غُرْس [٦٧]:

يقع بئر غُرْس في منطقة قباء شمال شرق مسجدها على نصف ميل بين النخيل، وعند ركن البئر الشرقي القبلي تقع الحديقة التي تحمل اسمه، وهي بئر طيبة طولها سبعة أذرع وعرضها عشرة، والماء فيها يصل إلى ذراعين، وكانت قد خربت بعد السبعمائة الهجرية فاشتراها أحد الأعيان وحوط عليها نخيلاً وعمَّرها وجعل لها درجاً ينزل إليها من داخل الحديقة ومن خارجها، وأنشأ بجانبها مسجداً لطيفاً في عام ثمانمائة واثنين وثمانين من الهجرة [٦٨].

ظلت الحديقة على حالها متصلة بالبئر يزورها أهل المدينة والواردين عليها، أما المسجد والمرافق الملحقة به فلم تزل أطلالها المبنية بالحجارة والطين حتى زارها العياشي وشرب من ماء البئر واستظل بظلها وأكل من ثمارها، كما زارها كل من الحضيكي[٦٩]، والورثيلاني ضمن مجموعة الآبار والمعالم النبوية التي يزورها أهل المدينة المنورة والواردين عليها[٧٠].

حدائق طريق قباء:

كان الطريق بين المدينة وقباء عبارة عن منطقة حدائق متصلة بها النخيل والأشجار الباسقة التي تسر الناظرين وهي في مجملها كانت صالحة للتنزه[٧١].

وقد اعتاد أهل المدينة وزوارها الذهاب إلى قباء من وسط هذه المتنزهات حيث يستريحون تحت ظلالها في ذوق وصفاء فيجمعون بين التنزه وبين قصد مسجد قباء لتحصيل أجر الصلاة فيه، وقد وصفها لنا النابلسي عندما مر بها بقوله: " فركبنا وسرنا نحن وجماعتنا ومعنا بعض أهل المدينة ممن يعرف الطريق... ثم خرجنا من باب المصري وتوجهنا إلى جهة القبلة حتى وصلنا إلى قباء وقد مررنا على بساتين من النخيل الكثير وغيره من أنواع الفواكه بعضها له جدران وبعضها بغير جدران، فيها من الماء ما يكفي لريها حيث يستخرجونه من الآبار بالدواليب التي تديرها الدواب ويجمعونه في برك مخصوصة[٧٢].

حديقة البُصَّة:

حديقة كبرى قريبة من البقيع تبعد عن الحرم بخمسمائة متر تقريباً على يسار السالك من قلب المدينة المنورة إلى قربان وقباء من أول طريق العوالي، وكان عليها سور من اللبن قديم وفيها نخيل مجدد بعدما أتلف سابقه السيول، وبداخلها بئر البُصَّة(٧٣) المتميز بمائه الطيب الذي يرى في البئر أخضراً فإذا انفصل منها ظهر صفاء بياضه، واتخذ له دَرَجَاً ينزل إليه الفلاحون، وقد أوقفت الحديقة والبئر على الفقراء والواردين وهي وفيرة الماء(٧٤) نزل فيها العياشي مراراً وشرب وتوضأ واغتسل(٧٥)، وزارها الورثيلاني وغسل رأسه اقتداءً بالنبي ﷺ(٧٦).

وهناك بركة ماء واسعة بجانب البئر جعلت هذا البستان الفسيح يجمع بين عذوبة الماء ولطافة الهواء، ونظراً لقربه من محيط المسجد النبوي، فقد كان الناس يردون عليه بسهولة بين الصلوات يشربون من ماء البئر ويتوضؤون ثم يعودون أدراجهم إلى المسجد فيدركون الصلاة التالية(٧٧).

حديقة بئر حَاء(٧٨):

كانت حديقة صغيرة فيها نخيل وزروع تقع شمال سور المدينة ليس بينهما غير الطريق(٧٩) في مقابل المسجد النبوي مباشرة، وكان يفصل بينهما بعض الأبنية والدور والطرقات(٨٠)، وأقرب أبواب المدينة لها باب البقيع وهي بينه وبين الباب الشامي، وكانت ملكاً لأبي طلحة الأنصاري – ﷺ– وكان النبي – ﷺ– يدخلها ويشرب من ماء بئر فيها طيب هو بئر حاء الذي أطلق اسمه على الحديقة وهو من الآبار النبوية (٨١).

وقد كانت البئر المذكور متميزة عن آبار المدينة المنورة بشكلها المربع بينما غيرها كان مستدير الهيئة، آلت ملكيتها إلى أناس متعددين على امتداد الزمن إلا أنها ظلت مفتوحة للواردين للتنزه والزيارة حتى فترة الدراسة، وظلت الحديقة وما حولها باقية تضم أجود أنواع النخيل والأشجار لعله من بقايا حديقتها القديمة يتوالد بعضه من بعض(٨٢).

ذكرها ابن مليح القيسي[٨٣]، وزارها العياشي مراراً وشرب من ماء البئر وأكل من ثمار الحديقة التي سقيت منه وأخذ من زرعها[٨٤].

يقول الورثيلاني: "وقد دخلناها والحمد لله وشربنا من مائها وسقيت الحاضرين ... وأكلنا من خضرها المسقي بمائها"[٨٥].

حديقة بئر رُومة:

تقع هذه الحديقة بجوار بئر رومة[٨٦] الشهير بأسفل وادي العقيق[٨٧] شمال غرب المدينة المنورة عند مجمع الأسيال، وكانت قد خربت ونقضت أحجارها فجدد عمارتها قاضي مكة المكرمة شهاب الدين أحمد بن محمد المحب الطبري في عام ٧٥٠ هـ / ١٣٩٤م[٨٨].

وبجوارها آثار لأبنية قديمة منها مسجد به محراب يعود إلى فترة الدراسة كما يبدو من طراز بنائه، وأمام هذا المسجد بركة مربعة جميلة، والبئر غزيرة الماء وهي مطوية بالحجارة لا تزال باقية تسقي بستانها مع مرور هذه القرون الطويلة التي اندثر خلالها كثير من حدائق وبساتين العهد النبوي[٨٩]، من هنا اهتم بها أهل المدينة وزوارها ووصفوا مكانها والطرق المؤدية إليها والتنزه في مزرعتها، فأما عن موقعها فقد كانت بعيدة عن المدينة القديمة وإلى حي الجرف أقرب، زارها ابن ناصر الدرعي وذكر هذا الموقع[٩٠]، وحدد العياشي الطريق المؤدية إليها من مركز المدينة المنورة مروراً بمساجد الفتح ثم يساراً إلى جهة مسجد القبلتين ومنها إلى العقيق فهي هناك[٩١] ووصف ما حولها من مزارع وأشجار وارفة [٩٢]، وشرب منها الورثيلاني واستقى ما يكفيه للشرب مدة إقامته في المدينة المنورة[٩٣].

حديقة بئر العهن:

تقع في عالية المدينة وتعرف باسم البئر التي ترويها وهي بئر العهن أو اليسيرة[٩٤] أو باسم مسجد بني قريظة الموجود على بابها شرقي مسجد قباء [٩٥]، قريب من مشربة أم إبراهيم[٩٦].

وتشتهر بالنخيل وأشجار السِّدر وغير ذلك من الزراعات التي تسقى بماء بئرها الذي لا يكاد يجف، وقد دامت عندها بقايا خرائب دور بني قريظة وآطامهم إلى أن رآها الكتاب المعاصرون، كما أن المسجد لم يزل من بقاياه سور من الحجارة ارتفاعه قريب من القامة، وكانت في زاويته الغربية الشمالية دكة هي موضع منارته(٩٧).

ظلت طوال فترة الدراسة في نظارة أحد المغاربة المجاورين للمدينة فنظمها ووفر فيها مرافقها وتركها مفتوحة للتنزه فزارها بعض الرحالة وشربوا من البئر (٩٨).

بستان الصمد:

وهذا البستان من محاسن بساتين قباء قريب من المسجد(٩٩) دخله النابلسي مع جماعة من الزوار يصحبهم نفر من أهل المدينة المنورة يقول: فجلسنا نحن وإخواننا هناك في ظلال النخيل تحت عروش الأعناب والظل الظليل ...إلى أن صلينا العصر.

ثم نظم شعراً في بساتين قباء قال في مطلعه:

ألبس الله بساتين قُـــــبا حلة نسج ربيع وقَــبَا

وسمعنا صـــوت ترغل شذا فتحققنا بأطراف نـــبا (١٠٠).

بستان المنشية:

في الطريق من مساجد الفتح التي فوق جبل سَلْع إلى المدينة المنورة قريب منها وهو بستان فيه نخيل كثير لا يكاد يحصى عدده، وأشجار مختلفة الأنواع، وعرائش من أعناب وأزهار الفل والعطور، وبركة كبيرة مملوءة دائماً يصب فيها الماء من البئر بواسطة دولاب تحركه الدواب وهي مرتفعة يصعد إليها بدرج قبالة إيوان كبير واسع معقود بقوسين من الأحجار وفوقه مشرفة عظيمة مطلة على جميع تلك الجهات، وكان أهل المدينة يخرجون إليه ويمكثون فيه حصة من النهار يلقى بعضهم بعضاً ويأنس بعضهم ببعض ثم يعودون إلى المدينة(١٠١).

وقد يخرجون إليه في الليل بعد صلاة المغرب يجلسون في ضوء القمر بجوار البركة يتنسمون رائحة الرياحين ويأكلون من التمر والثمار فيحصل للمتنزهين من السرور والصفا ما يؤملونه من النزهة فيه وقد تتفتق قريحة بعضهم فيقول فيه شعراً يصفه ويصف سعادة الواردين عليه مثلما قال النابلسي فيه:

سقى المنشية الغيث الهتون فصعب الهم كـــان بها يهون
وحيـــــا بالمـدينة ما رأيـنا هناك من الصفا ما لا يكون
ريـــــاض أحبة ونخيل أنس تسيل على العيون بها العيون (١٠٢)

وقال أيضاً في بستان المنشية:

حفَّنا الأُنس بكرة وعشية فانتشينا بروضــة المنشية
ونعمنا بما فيها مــن نخيل دانيات قطـــوفهن جنية
وبها بركة من الماء تجـــري بالدواليب نزهـــــة للبرية
حبذا حبذا لطيف نسيم يتمشى هناك يشفي الهوية
طيبة أطيب الأماكن داراً وهي فيها كحلة سندسية

وقد يبيت المتنزهون في بستان المنشية ليلة كاملة ويستمر بعضهم نهار اليوم التالي(١٠٣).

حديقة مسجد الجمعة:

وعند كلامه عن زيارة مسجد قباء ذكر العياشي مسجد الجمعة(١٠٤) الذي صلى فيــه النبــي - ﷺ- أول جمعــة بعـد الهجـرة، وحـدد موقعــه فــي أول وادي رانوناء(١٠٥) عند بيوت بني سالم بن عوف ببطن الوادي على يسار الذاهب من المدينة إلى قباء من طريق الحرة الغربية(١٠٦) . وقد كان المسجد خلال فترة الدراسة صغيراً تم تجديده في عام ٩٨١هـ / ١٥٧٣م، وسط حديقة غناء على مسيل الوادي المذكور، أحاط به النخيل من أكثر جهاته وهي من الحدائق التي يتنـزه فيهـا الزائـرون للمسـجد(١٠٧)، ولعلهـا هـي الحديقـة الروميـة التـي ذكرهـا الأنصاري قرب باب مسجد الجمعة(١٠٨).

حديقة مسجد القبلتين:

يقع مسجد القبلتين في شمال غرب المدينة المنورة غربي وادي بُطْحان وجبل سَلْع في مكان مرتفع على طرف وادي العقيق والطريق إليه في آكام سود من الحرة الغربية وشعاب وعليه بناء وثيق وهو يعتبر آنذاك في الخلاء ليس بقربه شيء من العمارة، وإلى جانب المسجد من الجهة الشرقية توجد حديقة غناء فيها بئر ماء وأرض تزرع(١٠٩).

اشتملت حديقة مسجد القبلتين على عمارات بديعة أينعت في أرجائها الأشجار، وتغنت على أغصانها الأطيار، وحفت بها الأزهار وكانت ضمن الأوقاف الخيرية وحول المسجد آبار وحدائق أخرى ومزارع تعرف بالعنابس(١١٠).

حدائق الجرف ومزارعه:

تبعد منطقة الجرف عن المدينة المنورة حوالي ثلاثة أميال جهة الشمال ناحية الطريق المؤدية إلى الشام، وكان الجرف عبارة عن قاع فسيح ومتنزه مليح يشتمل على آبار ومزارع وحدائق أحسنها حديقة الحاكم، وحديقة النائبية، وحديقة الأمير، وفي الجانب الغربي من هذه المنطقة كانت هناك مزارع تسمى العِرض كانت عامرة بالأشجار والأزهار والثمار تروى من ماء وادي إبراهيم بين غربي أحد والجرف، وهذه المزارع تسقى بالساعات حسب الأدوار في نظام دقيق(١١١).

ثانياً: البساتين الخاصة.

ضمت المدينة المنورة عدداً من البساتين الخاصة التي اشتراها وعمَّرها بعض الأشخاص وغرسوا فيها أنواعاً مختلفة من النخيل والأشجار والزهور، ووفروا فيها أدوات التنزه التي لا يمكن الاستغناء عنها، حتى غدت ضمن الأماكن الصالحة للتنزه في المدينة المنورة، فهم يخرجون إليها في الأوقات التي تروق لهم، ويدعون معهم غيرهم من الزائرين للتنزه دون مقابل، بل ويكرمونهم إن كانوا من الفقراء أو الزوار أو الصالحين أو طلاب العلم (١١٢).

وقد توزعت هذه البساتين على أحياء المدينة المنورة المختلفة، لكن أغلبها كان يقع في محيط المسجد النبوي الشريف أو مسجد قباء أو قريباً منهما(١١٣).

وأكثر هذه البساتين الخاصة شهرة في كتابات الرحالة والمؤرخين المعاصرين:

بستان القايم :

كان من أحسن بساتين منطقة قباء وأبهجها خلال فترة الدراسة، وقد اشتراه مصطفى بن الخواجة محمد بن أحمد الشامي الشهير بحمودة ضمن مجموعة العقارات التي أوقفها على أولاده من بعده عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م(١١٤)، وهو قريب من مسجد قباء يأتيه أهل المدينة وزوار مسجدها بعد أداء الصلاة يتنعمون تحت النخيل والأشجار التي تكسوه بظلها وتجود على الزائرين بثمارها وتفوح منها رائحة الزهور والورود، وكان متاحاً أغلب أوقات اليوم لا يغلق أبوابه يأتيه من لديه رغبة في التنزه من الصباح ويمضي فيه وقت القيلولة إلى ما بعد صلاة العصر في أنواع المسرات ثم يعود إلى المدينة المنورة(١١٥).

وقد حَرَّك هذا الجو الجميل وما يحتويه البستان من أشجار وأزهار الشاعرية لدى بعض زواره فأنشد فيه أبياتاً -يصف فيها نخيله وأشجاره وأنواع ثموره وأزهاره ومجالسه- منها:

يا حسن بستان السرور القائم ... وهو المسمى في الورى بالقائم

قمنا هناك قائمين للهنا ... وقد قعدنا فيه للنسائم

بالقرب من طيبة طابت مشرقاً ... ومغربا عند الشوق الهائم

وفي قُبا تجلى الرياض في قَبَا ... من سندس يمحي من السمائم

وللنخيل فيه قامات زهت ... فمنظرها يبعث باللوائم

ثم وصف أنواع وألوان التمور بقوله:

زهت بساتين قبا بالذي ... فيها من النخيل الطوال القصار

والعتاكيل بها بهجة ... مثل عروس جليت في إزار

والبلح الأخضر مع أحمر ... يشوقنا مع بلح ذي اصفرار

زبرجد هذا وهذا هو العقيق في اللـــــــون وهذا نضـــــار[١١٦].

وعن الجلوس في البستان وما به من أماكن طيبة قال:

يا حبذا في قبا مستنزه الــطيب وحيثما دارت أصوات الـــدواليب

وللنخيل اصطفاف في حدائقه تلك النضيرات تأتي بالأعـــاجيب

لقد قعـــدنا بروض قـائم ولقد مـــلنا إلــيه بتـــــــرنام وتشبيب

وبركة الماء في ميدانه انبســـطت من تحت إيوانه باهـي الـــــتراتيب

منه الشبابيك طلت صدر مجلسه على الرياض وفاحت نفحة الطيب [١١٧] .

حدائق العُلَيقة:

كانت هذه الحدائق في ملك بعض الأشراف، وهي من أجمل متنزهات منطقة قباء التي تذهب عن القلب الحزن، فيتمتع الزوار فيها بجمال الطبيعة، حيث ضوء الشمس، وعذوبة الماء وحلاوته، وطيب الهواء وعليل النسيم، وجمال الحياض والأشجار والأزهار، وخلف هذه الحديقة من جهة الشمال حديقة أخرى لا تقل عنها روعة وبهاءً مورقة الأشجار مونقة الثمار تعرف **بالسَرَّارة** بها نخيل يقال إنه من عهد النبوة يشتري الزوار تمره بأغلى الأثمان، وخلف هذه الحديقة حديقة أخرى معطرة بالأزهار تشتمل على العنب والنخيل بالإضافة إلى الأشجار [١١٨].

حدائق البقيع:

وهي مجموعة من الحدائق الخاصة كانت تقع في آخر مقبرة البقيع من جهة المشرق، وتمتاز بقربها من محيط المسجد النبوي لذا كان الناس يترددون عليها يقيلون في ظلالها خاصة في الصيف إن واكب شهر رمضان يقضون فيها فترة الظهيرة فتقيهم حرارة الجو وسخونته إلى آخر النهار ثم يعودون منها على صلاة المغرب[١١٩].

بستان القرين:

وهو من البساتين الواقعة خارج سور المدينة المنورة على مسافة نصف ساعة يخرج إليه الناس في بعض المناسبات ضمن الحدائق التي يخرجون إليها للتنزه احتفالاً بها، وتخرج النساء والأولاد ويبقون هناك إلى الليل ثم يعودون إلى المدينة(١٢٠).

الحديقة المكارمية:

كانت توجد شرقي جبل سَلْع قريباً من مناخ الركب الشامي(١٢١). وهي تنسب إلى القاضي محمد مكارم الشافعي (ت ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م) تنقَّلت ملكيتها في عقبه حتى ورثتها حفيدته زينب بنت حسن بن عبد الرحيم بن محمد مكارم وخلفتها بعد موتها سنة (١١١٤هـ / ١٧٠٢م) ليرثها زوجها أحمد الأنصاري عم المؤلف عبد الرحمن الأنصاري وفي الأخير تؤول إليه (١٢٢).

حديقة المفتي:

كانت تقع في الحرة الغربية، وهي تشبه الاستراحات الحديثة حيث تشتمل على منزل وبستان فيه نخيل وأشجار ومجلس مفروش بالمفارش والوسائد يأخذ الشكل الدائري بالإضافة إلى الحمام وغيره من المنشآت الخدمية الأخرى. وقد ذكرها ابن ناصر عند دخوله المدينة المنورة، وهي التي أُخذ إليها من أحد أصدقائه ليغتسل فيها استعداداً لزيارة المسجد النبوي(١٢٣).

وغير ذلك من الحدائق الخاصة التي يصعب حصرها في هذا البحيث الصغير.

المبحث الثالث

متنزهات الأودية

يتتابع هطول المطر على المدينة المنورة في موسم الربيع ويجري في الجهات المنخفضة باتجاه أوديتها الثلاثة: وادي العقيق، ووداي بُطْحان المسمى أبو جيدة[١٢٤] أو السيح[١٢٥]، ووادي قناة.

وعندها يعتدل المناخ وتكسو الخضرة ضفاف هذه الأودية يصبح المكان مع الزمان مناسبين للتنزه.

وقد جرت العادة خلال فترة الدراسة في هذه الحالة أن يستأجر أهل المدينة العربات المصندقة التي أرخي على جوانبها الستائر وتجرها الدواب من سوق العنبرية ويحملون فيها أسرهم إلى الجهة التي سال واديها يختار رب الأسرة محلاً مناسباً لجلوسه ومن معه ويقضون مقيلهم على جانبي المسيل، أو يدخل بهم في البساتين القريبة من المسيل، فإذا خرجوا في أكثر من أسرة انفرد الرجال في مجلس والأطفال والنساء في مجلس آخر منعزل.

وفي البساتين المذكورة برك مملوءة بالماء ومجهزة للسباحة لمن لم يستطع السباحة في المسيل يمارس فيها هوايته، وفي الجانب الآخر نجد من فرغ نفسه لذبح الذبائح وتهيئة الغداء الذي يقدم إليهم بعد صلاة الظهر، وبعد يوم من التنزه في هذه الطبيعة الخلابة تعود بهم العربات التي أقلتهم إلى منازلهم[١٢٦].

وقد كتب كلٌ من العياشي، والورثيلاني فصلاً عن متنزهات الأودية بعنوان: **ذكر بعض أودية المدينة التي تسيل إذا كثرت الأمطار فيخرج أهل المدينة للتنزه بها**[١٢٧]. وقد صفا المتنزهات المنتشرة عند أودية المدينة المنورة وربطا التنزه فيها بمواسم الأمطار حيث يخرج أهل المدينة مستبشرين بنزول الغيث وجريان الماء في الأودية والقنوات وما يصحب ذلك من أجواء لطيفة ومنظر بديع لا يتوفر إلا في أوقات محدودة من السَنَّة، ولذلك نجد أكثرهم لا يفوت هذه الفرصة فيخرجون بمؤنتهم الكاملة ويستمرون في نزهتهم طوال النهار لا يضطرهم إلى الرجوع إلى منازلهم إلا ظلام الليل ووحشته، وأما إن كان الوادي

داخل العمران ويستطيعون حماية أنفسهم وأسرهم فقد كانوا يستمرون في نزهتم أياماً قد تصل إلى الأسبوع أو أكثر.

وأول هذه الأودية وادي **(العقيق)** أو وادي ذي الحليفة وهو: واد كبير يقع غربي المدينة وراء الحرة الغربية يأتي سيله من أماكن بعيدة. وقد سمى أعلاه بالنقيع، وأوسطه بالحساء، وآخره عند ذي الحليفة عقيق المدينة، وله روافد كثيرة من الشرق والغرب، وكان من أهم أودية المدينة المنورة الزراعية لغزارة مياهه وقلة ملوحتها وخصوبة تربته، وله شهرة في التاريخ كما حظي بمكانة خاصة عند الشعراء، وقيل هما عقيقان الأكبر منهما مما يلي الحرة وفيه بئر عروة والأصغر ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهى العرصة مما يلي الجرف وفيه بئر رومة[١٢٨]، والجزء المسمى عقيقاً في فترة الدراسة هو الجزء الممتد من غربي بئر رومة حتى ذي الحليفة، وسمي العقيق كله عقيقاً لأن سيله عق في الحرة أي شق وقطع أو لحمرة موضعه بما يشبه العقيق وهو الخرز الأحمر، وكان سيله يستمر أحيانا شهراً أو أكثر [١٢٩].

ووادي العقيق من أعظم متنزهات أهل المدينة من قديم، وهو يمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال، ويمتاز بطيب ترابه وعذوبة أجوائه، وكثرة حدائقه. والناس يخرجون إليه للتنزه، واستنشاق الهواء النقي إذا سال على اختلاف طبقاتهم فهواؤه صافٍ منعش، حيث ينصبون الخيام على جانبيه، ويقيمون عنده يوماً كاملاً أو عدة أيام يطبخون طعامهم في سرور ولهو وطرب. وقد سال في فترة إقامة العياشي بالمدينة ثلاث مرات منها مرة كان سيله عظيماً [١٣٠].

وكان الناس في المدينة يترقبون هذا الوادي إذا سال فيهرع إليه طلاب المتعة الحلال بأفواجهم وتعقد على ضفافه حلقات السمر وتنشد الأشعار حتى كان عندهم هذا اليوم كيوم الزينة في صفاء الوقت وترادف المسرات [١٣١].

وفي هذه الأجواء والظروف تجود قرائح الشعراء في وصف هذه الطبيعة الخلابة، ومما نقله العياشي من الأشعار التي قيلت في هذا المتنزه:

جرى العقيق ودمعي كالعـــقيق جرى فلا تسل ســـائلي عما هناك جرى

الوجدُ أورَى زناداً في الحشا فصَلَى به الفؤاد فسال الدمع مبتدرا[١٣٢].

ولا عجب فأغلب أرض العقيق في تلك الفترة كانت مكسوة بالبساتين الجميلة التي تروى من السيل إذا جرى ومن الآبار إذا توقف، فوجود الرياض والحدائق فيه كان من مستلزمات حياة التنعم والترف التي كان أهل المدينة يعشقونها في تلك الفترة[١٣٣].

ولم يكن التنزه في هذا الوادي المبارك مقصوراً على وقت دون آخر فمواسمه متواصلة وإقبال الناس عليه لا ينقطع إن كان الوقت صيفاً فهم يخرجون للاستمتاع بهوائه العليل في بساتينه المثمرة، وفي الربيع تنبت الأعشاب وتتفتح الأزهار وتسمق الأشجار ويتحول إلى مرعى بالإضافة إلى كونه متنزهاً، ومن أجمل مواسمه موسم الأمطار فيتداعى الناس إليه على اختلاف مستوياتهم[١٣٤].

ومن أحسن بساتين العقيق حديقة بئر مهدي التي قال عنها كبريت:" فإنَّها حديقة غرسها زاهر، وأنسها باهر، وماؤها عذب وهواؤها رطب، وفيها للنفوس مسرة ولأهلها بها أكرم مبرة، وما زالت النفوس ترتاح برؤيتها، والأرواح تنتعش بطيب نسمتها[١٣٥].

ومنها وادي بُطْحان :

وهو أحد أودية المدينة الرئيسة، وهو يخرج من ذي الجدر ويفترش في حرّةِ واقم[١٣٦] ، ويمر من شرقي قباء فيشق المدينة من وسطها عبر منطقة العوالي حتى يصل غربي السور طرف المصلى، ثم يخرج غربي جبل سَلْع قرب مساجد الفتح فيستمر إلى أن يلتقي مع العقيق بالغابة عند مجمع الأسيال، وبذلك تستفيد منه الآبار ويسير بين بساتين النخيل في قباء ، وقربان ، والسيح[١٣٧].

وكان أهل المدينة المنورة وزوارها يستبشرون بجريان السيل في هذا الوادي الذي يمر بين بيوتهم فيتنزهون على ضفافه[١٣٨] . قال عنه العياشي : "وهو الوادي المتوسط بيوت المدينة ، وبيوت الأنصار على حافتيه شرقاً وغرباً قد

جعلت لهما شبابيك ومجالس ناحية الوادي، وعليه قنطرة كبيرة قرب المصلى، وقد سال مراراً ونحن بالمدينة... فخرج الناس للتفرج فيه"[١٣٩].

والواقع أن هذا الوادي كان لا يخلو من رشح الماء طوال أيام السنة يزيد إذا زادت الأمطار ويقل إذا قلت[١٤٠].

مما سبق يتضح أن وادي بطحان كان من المتنزهات الدائمة لوجود الماء فيه بصفة شبه مستمرة، يزداد خروج المتنزهين إليه إذا أصابه السيل وانتشرت الخضرة على ضفافه مع لطافة أجوائه فيستمر مكوثهم عنده ربما الأسبوع أو أكثر[١٤١]، ومما يميزه أن موقعه وسط العمران مما جعل التنزه عنده آمناً في جميع ساعات النهار وأحياناً في بعض أوقات الليل بخلاف غيره من المتنزهات التي كانت خارج عمران المدينة المنورة في تلك الفترة التي كان الهاجس الأمني يشكل أهمية كبيرة لا سيما من خطر العربان.

ومنها **وادي قناة**[١٤٢].

وهو أحد فحول أودية العرب، بل أعظم أودية المدينة سيلاً، وهو يأتي سيله من أماكن بعيدة، وله روافد كثيرة، حيث يأتي من ناحية شرق المدينة المنورة حتى يصل السد الذي أحدثته نار الحرة من جهة العاقول، ومن ثَمَّ تغيَّر مجراه مع مرور الزمن ، واتخذ عدة مسارات أشهرها وأهمها خلال فترة الدراسة سيل سيدنا حمزة – ﷺ– الذي يشق الحرَّة الشرقية في قسمها المحترق ، ويمضي هابطاً إلى الجهة القبلية من شهداء أحد[١٤٣] ، وكان جبل عينين يقسم مجراه إلى قسمين: أحدهما يفصل بين الشهداء وجبل أحد من جهة ، وجبل الرماة من جهة أخرى، والآخر يحاذي جبل الرماة من الشرق والجنوب ، ولكن المجرى الأول تم تحويله ودمجه في المجرى الآخر لتتسع الساحة للزوار، ويستمر في اتجاهه ناحية الغرب حتى يقطع طريق العيون، ثم يتجه شمالاً محاذياً جبل أحد من غربه إلى أن ينتهي إلى مجمع الأسيال بزغابة[١٤٤] ، حيث يلتقي بوادي العقيق عند هذه النقطة[١٤٥].

وكان هذا الوادي إذا سال يجري ماؤه بشكل متواصل مدة قد تزيد عن الشهر إلى الأربعة أشهر فيخرج خلالها أهل المدينة إلى موضع مرتفع أعلاه من ناحية المشرق وراء الحرة فيقيمون فيه الأسبوع أو أكثر، وربما تعددت مرات الخروج إليه والتنزه عند شواطئه، أما إذا زاد السيل عن حدوده وتعذر وصول الناس إليه فإنهم كانوا يكتفون بمشاهدته من أعلى تل يقع خارج باب البقيع(١٤٦).

وقد بنيت عليه عدة سدود شرقي ضريح سيدنا حمزة – ﷺ– خلال العصر العثماني لمواجهة قوة السيل وللاحتفاظ بمائه أكبر وقت ممكن حتى يستمتع به المتنزهون والزوار، ومما سهَّل الوصول إليه، وتمكن الجميع من زيارته قرب مكانه من عمران المدينة المنورة، إذ يكفي للوصول إليه بالمشي المتوسط نصف ساعة فقط(١٤٧).

كما أنه يعد من أطيب أودية المدينة وأعذبها، حيث يحصل لمن حلَّه كمال المسرة، وصفاء الخاطر وسيله من أعظم السيول وأصفاها، وكان إذا انقطع بقيت منه غُدران يظل الماء فيها شهراً أو شهرين إضافيين(١٤٨).

وآخر هذه الأودية وادي **رانوناء** الذي يقع في ضاحية المدينة المنورة الجنوبية الغربية بين قباء والمسجد النبوي الشريف، حيث يصب من حرة قباء في وادي بطحان جنوب مسجد الغمامة، وكان متنزهاً مقصوداً يخرج إليه أهل المدينة ضمن متنزهاتهم يقضون على ضفافه أجمل الأوقات في مواسم المطر(١٤٩).

المبحث الرابع

أخلاق أهل المدينة وعوائدهم في التنزه

نظر الكتاب من الزوار والمؤرخين إلى أهل المدينة المنورة نظرة احترام استمدوها من نظرة تقديسهم للمدينة النبوية بكل ما فيها، وتكلموا عن أخلاقهم وعوائدهم الطيبة فأثنوا عليها وأظهروها، يقول بيرم التونسي: **غير أن أخلاقهم أفضل أخلاق أهل الأرض فيما علمت... ومن وفد عليهم تخلق بخلقهم**(١٥٠).

وفي الوقت نفسه نقدوا بعض العادات والممارسات الملازمة لبعضهم في المتنزهات العامة مثل: السرف في المأكل والمشرب وغير ذلك، لكنهم مع ذلك انتقوا العبارات التي كانوا يستخدمونها عند الكلام عن المدينة وأهلها وكأن أحدهم كان ينظر إليها بحدقة قلبه لا بحدقة عينه، مثلما يقول الورثيلاني: **ولما أشرفنا على المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام غشينا نور عظيم، وبهاء قوي لا يخفى على أهل الذوق السليم والطبع المستقيم**(١٥١).

وأول ما يطالعنا من عادات أهل المدينة أن أغلب التنزه في ضواحيها كان في يومي الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر ويسمونها مقيال أو القائلة يقولون نقيل اليوم في الموضع الفلاني بخلاف خروجهم للمتنزهات الداخلية فلم يكن محدداً بوقت(١٥٢).

ومن الملاحظات العامة على مظهر نسائهم عند الخروج عامة وفي التنزه خاصة التستر والاحتجاب إلى درجة ظنها البعض مغالاة يقول العياشي: "**بيد أن نساءهم يبالغون في الستر الظاهر بحيث لا يبدو من المرأة ولا مغرز إبرة حتى من أطرافها يلبسن الخفاف السود، ويتبرقعن، ويسدلن من أزورهن ما يكون نهاية في الستر**"(١٥٣) .

ويقول التونسي: **غير أن حفظ الحريم والبنات من صغرهن فلهن فيه مبالغة كلية بحيث لا يمكن أن يرَ الرائي امرأة ولو متعجزة، وما أصبر نسائهم على الجلد في التخدر** (١٥٤) .

ويقول عن لباسهن عند الخروج من البيوت: **إذا خرجن من البيوت زدن ذلك خفاً من الجلد الأصفر مع رداء واسع جداً ذي أكمام ساتر للأصابع وخمار مسدل إلى السرة مثقوب جهة العينين** [١٥٥] .

وكما رصد المؤرخون والزوار عادتهم الحسنة نقدوا بعض العادات التي لم ترق لهم أن يفعلها أهل المدينة، وأولها كثرة الخروج للتنزه وما يتبع ذلك من زيادة النفقة التي تثقل كاهل رب الأسرة، يقول العياشي: **ونساء المدينة لهن عوائد مذمومة في الخروج إلى التنزه والتفرج في البساتين والأماكن المنفسحة، ويسمون ذلك القائلة، فيقولون نقيل اليوم في الموضع الفلاني، وخروج الرجال لذلك أكثر، فتكلف المرأة زوجها من النفقة ما لا قدرة له عليه**[١٥٦] .

كما لاحظ البعض ميل أهل المدينة للرفاهية والتوسعة على أنفسهم في المعيشة ومغالاتهم في الملبس وخروجهم عما كانت عليه عوائدهم من قبل بسبب تقليدهم للمجاورين من الأتراك والأكراد والشوام وغيرهم من موظفي الدولة الذين تجرى عليهم الرواتب، وعاشوا في المدينة على حالهم التي كانوا عليها في بلادهم من التوسعة فاقتدى بهم غالب أهل المدينة حتى صار أغنياؤها أرفه الناس عيشاً وأكثرهم في المآكل والملابس إسرفاً[١٥٧].

ويتضح ذلك من حالة البذخ في المأكل التي عمت سكانها ومجاوريها في التنزه وغيره، فلا يطبخون من غير لحم، زاعمين أن تركه يضرهم لحرارة أبدانهم ويبسها، فيحدث اللحم لهم الترطيب، فإذا أكلوا غيره حصل لهم يبس في الطبيعة، حتى إن من نسائهم من لا يطبخ غداءً أو عشاءً إلا أن يكون لحماً، ويقلن نحن لا نعرف الطبخ من غير لحم ولو أدى ذلك إلى بقائهم من غير غداء ولا عشاء لدرجة أن بعضهم كان يخصص من عبيده واحداً لشراء اللحم يبحث عنه في أسواق المدينة ونواحيها ولا يرجع لسيده بدونه خاصة في أيام قلته [١٥٨].

ومن مظاهر البذخ التي سجلوها عند المرأة المدَنِيَّة نفقتها الزائدة على العطور والزينة[١٥٩] حيث يخرجن لشرائها بأنفسهن من الأسواق في مواسم الحج من

قافلة الشام وغيرها من القوافل، ولهن على الرجال إتاوة لا تقل عن خمسين ديناراً فما فوق لشراء هذه الأشياء خاصة، ويستعطرن في المناسبات الخاصة وعند الخروج للتنزه، يقول العياشي: "**إلا أنهن يكثرن من الطيب عند الخروج**"(١٦٠).

ومع ما اشتهرت به المرأة المدَنِيَّة من التستر في خروجها للمتنزهات إلا أن بعض النساء خرجن عن هذه القاعدة لا سيما في الأعياد والمواسم التي يكثر فيها العدد حيث لاحظ ابن عمار خروج بعض النساء يحفهن شيء من الزينة بالحلي والطيب مع بعض حالات الاختلاط بين الأسر مما يخشى من وقوع بعض المفاسد(١٦١).

كما انتقدوا عادة (الشخشخة)-كما أطلقوا عليها- واعتبروها من العادات المنقوضة التي كانت موجودة عند المرأة المدَنِيَّة خلال ذلك الزمن حيث تخصص المرأة مبلغاً تشتري به الأزهار والرياحين قد يصل إلى ريال في كل يوم الأمر الذي أرهق كاهل الأزواج حتى إن بعض المجاورين همَّ بترك سكنى المدينة المنورة والإقامة في مكة المكرمة بسبب هذه الرفاهية الزائدة التي انتشرت في مجتمع المدينة المنورة بخلاف المجتمع المكي الذي كان لا يزال محافظاً ولم يتأثر بالغرباء فخشي أمثال هؤلاء الفقراء على أولادهم ونسائهم أن يتأثروا بذلك(١٦٢).

ويبدو أن مرد هذه الانتقادات جميعاً يرجع إلى الإسراف والتكلفة الزائدة التي ترهق الأسر متوسطة ورقيقة الحال، أما الأثرياء فلم يتأثروا من ذلك بشيء.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة عن المتنزهات وعن ظاهرة التنزه في المدينة المنورة خلال العصر العثماني يتضح أهمية مدونات الحجاج والزوار والمجاورين مع كتابات المؤرخين في كتابة التاريخ الاجتماعي لاعتماد الزوار بشكل أساسي على المشاهدة والمعايشة مما يجعل مدوناتهم وثيقة اجتماعية ومصدراً دقيقاً لوصف ممارسات مجتمع المدينة وأخلاقهم وعاداتهم اليومية في كل شؤونهم الحياتية وفي المناسبات المختلفة.

ولما كان التنزه من اللهو المباح الذي ألفه سكان المدينة المنورة وورثوه من قديم الزمان فقد كانوا يروحون به عن أنفسهم في أوقات وأماكن تعوضهم معاناة الطبيعة القاسية فخرجوا للمتنزهات الجبلية المرتفعة التي تعتدل أجواؤها، ويتمتعون من فوقها برؤية واضحة لمعالم طيبة، ويتنزهون بما فيها من معالم أثرية وثروات طبيعية، وكذلك تعددت الحدائق العامة والبساتين الخاصة التي عمت أرجاء المدينة وضواحيها حول الآبار وفي الأودية وعند المساجد وتكاملت فيها المرافق الخدمية التي جعلتها جاذبة للمتنزهين من سكان المدينة المنورة وزوارها يترددون عليها للقيلولة في أوقات القيظ لتعوضهم شدة الحر.

وقد كانت هذه الحدائق وتلك البساتين بما تشتمل عليه من أشجار ونخيل مكاناً جيداً يتنسمون فيه عبير الزهور، ويشترون ويأكلون من التمور والثمار المتوفرة في أغلبها. وكذلك خرجوا عند الأودية وقت السيول، وتنزهوا على ضفافها، واستراحوا في ظلال بساتينها وأخدوا طعامهم وأعدوه في جو من اللهو المباح والطرب في المناسبات المختلفة، ومع ذلك كله كانوا حريصين على تأدية شعائرهم في المساجد القريبة من هذه المتنزهات.

وقد اتسمت أخلاق أهل المدينة وعاداتهم في المتنزهات بالاتزان المحمود في المأكل والملبس وعدم الاختلاط وقلة الإسراف، والتزام العبادات وغير ذلك من الأخلاق المحمودة التي نبه عليها الرحالة، غير أنهم لاحظوا بعض الممارسات غير المحمودة من بعض النساء والأسر والتي تدخل في إطار السلوك الفردي مما استلزم منهم نقدها والاستدراك عليها.

الهوامش

(١) مكث العياشي مثلاً في المدينة سبعة أشهر ونصف. العياشي. عبد الله بن محمد بن أبي بكر، أبو سالم (١٠٣٧- ١٠٩٠هـ / ١٦٢٨- ١٦٧٩م): الرحلة العياشية (١٦٦١ – ١٦٦٣م)، تحقيق: د / سعيد الفاضلي، د/ سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، أبو ظبي الإمارات، ٢٠٠٦م، ٤٢٣/١.

(٢) الزامل الخزرجي. عبد الله فرج: المدينة المنورة: عاداتها وتقاليدها منذ عام ٩٢٥ حتى عام ١٤٠٩هـ، مطبوعات تهامة، ط ١، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥١٦٢) .

(٤) لوحظ أن الكتلة السكنية للمدينة المنورة خلال تلك الفترة كانت مكدسة حول الحرم تتسم بضيق شوارعها وكأنها أزقة كذا صغر حجم منازلها، الأمر الذي انعكس على أسماء الحارات التي أطلقوا عليها أزقة مثل: زقاق البقر، وزقاق الخياطين، وزقاق الحبس، وزقاق الأغاوات...إلخ. وجدي. محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان،١٩٧١م، ٨/ ٥٣٠.

(٥) الزامل: المدينة المنورة ...، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٦) حددت المصادر السافة بغلوة أو غلوتين والغلوة: مقدار رمية سهم وتقدر بثلاثمائة إلى أربعمائة ذراع، وغلا بالسهم رفع يده لأقصى الغاية. الفيروز آبادي. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (٧٢٩ – ٨١٧هـ / ١٣٢٩ – ١٤١٥م): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٨، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، باب غلا.

(٧) جبل عير على مسافة خمسة كيو مترات من المسجد النبوي على طريق مكة المكرمة وهو حد حرم المدينة المنورة من جهتها، وهو جبل أسود طويل لا ينبت صخره. أمحزون، محمد: المدينة المنورة في رحلة العياشي، دراسة وتحقيق، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٣٥.

(٨) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٦٩ – ٣٧١؛ الجاسر. حمد: في رحاب الحرمين، مجلة العرب، مجلة شهرية تعني بتراث العرب الفكري، ج ٣، ٤، العدد ١٢، رمضان وشوال ١٣٩٧هـ / سبتمبر واكتوبر ١٩٧٧م، ٢٢٧/١٢.

(٩) النابلسي. عبد الغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ): الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: د/ أحمد عبد المجيد هريدي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م، ٤٧٨.

(١٠) حدد العياشي المسافة بين جبل أحد والحرم النبوي بسبعة أميال ، بينما حدد الحضيكي المسافة بينه وبين المدينة بميلين فقط، ويجب هنا أن يلاحظ القارئ الكريم أن الأول حدد المسافة من المسجد النبوي وهو ثابت في مكانه بينما حدد الأخير من عمران المدينة المنورة وهو مستمر في تمدده لا سيما من الجهة الشمالية التي يقع فيها الجبل المذكور ، فكلما امتد العمران قلت المسافة بين المدينة والجبل يبدو ذلك واضحاً إذا علمنا أن كلام الحضيكي كان في عام (١١٥٢هـ – ١٧٣٩م)، بينما سبقه العياشي بحوالي سبعين سنة حيث كانت رحلته في عام (١٠٧٣هـ – ١٦٦١م). العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٢؛ الحضيكي السوسي. أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ١١٨٩هـ): الرحلة، (سنة ١١٥٢هـ / ١٧٤٠– ١٧٤١م)، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط، المملكة المغربية، تحت رقم ٤٠٥، لوحة ٢٣.

(١١) الصاعدي. سعود بن عبد المحيي؛ المحمدي. يوسف بن مطر: أُحُد، الآثار – المعركة – التحقيقات، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية،١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ١١.

(١٢) فرغلي. عبد الرحيم بن فرغلي بن سعيد: النباتات البرية في جبل أحد، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٨هـ، ص ١٦.

(١٣) كتب العياشي عن فضله وعنون الإسحاقي فصلاً في ذكر فضل جبل أحد في الصحيحين وغيرهما. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠١؛ الإسحاقي. محمد الشرقي بن محمد: رحلة الإسحاقي صحبة الأميرة خناثة بنت بكار زوجة مولاي إسماعيل سلطان المغرب الأقصى (سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣١–١٧٣٢م) " مخطوط بالخزانة الملكية بالقصر الملكي في مدينة الرباط، المملكة المغربية، تحت رقم ١١٨٦٧، ص ٣٨٩.

(١٤) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٣٧٤.

(١٥) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.

(١٦) المرديس. عبد الرحمن مرديس. المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨– ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٥٦.

(١٧) المهاريس: عبارة عن تجاويف صخرية تمسك ماء المطر وتظل محتفظة به أغلب شهور السنة؛ لأنها مستورة من أشعة الشمس تحميها حواف الجبل لمرتفعة التي تحصرها بين شقوقه، ولا شك أنها تمتلئ بالماء في موسم الأمطار وتكثر النباتات من حولها وتكسو المواضع القريبة منها الخضرة فتعطيها بهجة ونضارة. فرغلي: النباتات البرية في جبل أحد.، مرجع سابق، ص ص٢٠، ٢١؛ الصاعدي، وزميله: أُحُد .، مرجع سابق، ص ٢٠.

(١٨) يزعمون أن هذا الشعب ينسب إلى النبي هارون أخي موسى عليهما السلام وأنهما مرا بالجبل حاجين أو معتمرين فمات هارون وقَبَرَهُ موسى في هذا الموضع. الفيروز آبادي. مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (٧٢٩ – ٨١٧هـ / ١٣٢٩ – ١٤١٥م): المغانم المطابة في معالم طابة، قسم المواضع، تحقيق : حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م، ص ١١.

(١٩) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.

(٢٠) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.

(٢١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٦.

(٢٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٣– ٤٠٥.

(٢٣) الورثيلاني. الحسين بن محمد: نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تصحيح: محمد بن أبي شنب، مطبعة بير فونتانا الشرقية، الجزائر، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، ص ٤٨٧.

(٢٤) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٦.

(٢٥) قال أبو سالم: مسجد الثنية: يقع بين مسجد الفسح وبين مشهد حمزة في البيداء التي هناك، مرتفع عن الأرض أقل من قامة، يصعد إليه بدرج، يقال إن فيه كسرت رباعية النبي ﷺ. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/٤٠٦.

(٢٦) جبل عينين من جبال أحد يقع في جهته الجنوبية، يفصل بينهما الوادي وهو الذي وقف عليه الرماة أثناء المعركة. الزمخشري. محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (٤٦٧ – ٥٣٨هـ): الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق. د/ أحمد عبد التواب عوض، منشورات دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٣٩.

(٢٧) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٦؛ الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٤.

(٢٨) الفاسي. أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد القادر: رحلة ابن عبد القادر الفاسي من مدينة فاس إلى مكة والمدينة (سنة ١٢١١هـ /١٧٩٦- ١٧٩٧م)، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٥٤جغرافيا، ميكروفيلم ٧٥٢٦، لوحة ١١٠/أ.

(٢٩) الأخلية من الخلي: وأصله يطلق على الرطب من النبات، وهو الأخضر الذي يكون عادة في الخلاء، وعنده كان الناس يقضون حاجتهم، ثم كني به عنها، ويراد بها هنا دورات المياه وما بها من مراحيض. القيسي. أبو علي الحسن بن عبد الله (توفي في القرن السادس الهجري): إيضاح شواهد الإيضاح، تحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م،١/٤٦٥، الشهاب الخفاجي. أحمد بن محمد الخفاجي المصري: شرح درة الغواص في أوهام الخواص (مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»)، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل، ط ١، بيروت – لبنان، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م، ص ٢٤٢.

(٣٠) الدرعي. أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الجعفري الزينبي: الرحلة الناصرية، (سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م)، صورة مخطوط بالأوفست من طبعة حجرية طبعت بالمطبعة الفاسية عام ١٣٢٠هـ، محفوظة في قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨١٨ جغرافيا، ٢/ ٢٦.

(٣١) الفاسي. أبو عبد الله محمد بن الطيب: الرحلة الحجازية، مخطوط في خزانة جامعة لايبسك بألمانيا، مكتوب بخط مشرقي تحت رقم: ٧٤٦، لوحة ١٠٩/ب.

(٣٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ٣٩٦/١، الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٤٩٢.

(٣٣) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٠٩.

(٣٤) يجب التنويه على أن اعتياد زيارة شهداء أحد في يوم محدد من السنة وتخصيص ليلته بقراءة القرآن وإقامة احتفال يجتمع إليه الناس من خارج المدينة، ولا يتخلف عنه من أهلها إلا أصحاب الأعذار، من الأعمال التي لم يثبت أن فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه الكرام، إضافة إلى ما يكتنفها من اللهو الإسراف، وشد الرحال، والتشبه بشعيرة الحج، واعتقاد القربى إلى الله بما لا أصل له في الدين؛ من المخالفات الشرعية الظاهرة،

الأمر الذي أنكره بعض فقهاء المدينة في تلك الفترة كما ذكر الرحالة نفسه. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٨.

(٣٥) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٦؛ الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٣.

(٣٦) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/٣٩٦- ٣٩٧.

(٣٧) مسجد الفتح ويسمى مسجد الأحزاب وسبب تسميته بمسجد الفتح لأن الله قد استجاب لدعاء نبيه ﷺ بهزيمة الأحزاب التي تعتبر فتحاً مبيناً؛ ومجموع المساجد الموجودة الآن في تلك الساحة تعرف بمساجد الفتح، أو السبع مساجد. السمهودي. علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن (ت ٩١١هـ): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ، ٣/ ٣٩ - ٤٠؛ عبد الغني. محمد إلياس: المساجد الأثرية في المدينة النبوية، ط:٢، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص١٣١.

(٣٨) سلع: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة وفي لغة بكسر أوله، جبل كان متصلاً بالمدينة المنورة من جهة بلاد الشام لكنه اليوم دخل في عمرانها وفي الجنوب الغربي من تقع المساجد السبع ومها مسجد الفتح. شُرَّاب. محمد بن محمد حسن: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى، دمشق- بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩١م، ص ١٤٣.

(٣٩) الأخبية: جمع الخِباءُ وهي من بيوت الأعراب. القالي. أبو علي إسماعيل بن القاسم (٢٨٠ هـ - ٣٥٦ هـ). المقصور والممدود، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة)، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م، ص ٤٢٩.

(٤٠) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩١ - ٣٩٣؛ الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٢٣.

(٤١) الجاسر: في رحاب الحرمين، مرجع سابق، ١٢/٢٣١.

(٤٢) أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٤٣) ذكر العياشي أن أثر مسجد بني حرام في جبل سلع لا يزال باقياً في أسفل الوادي حتى زمان رحلته إلا أنه لا بناء عليه. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٣، صباغ. خالد بن علي بن حسين: الإصابة في معرفة مساجد طابة، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ، ص ١٧١.

(٤٤) هو: محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية، خرج على المنصور العباسي في المدينة سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م فبعث إليه من قتله. كان ثقة في الحديث كما قال النسائي وغيره. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢ هـ). العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ١/ ٣٢٣؛ ٤/ ١٧٢؛ الألباني. أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت١٤٢٠هـ): سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١، الرياض، ١٤١٥ هـ /١٩٩٥م، ٤/ ٢٢٧.

(٤٥) العين الزرقاء: تنسب إلى الأزرق مروان بن الحكم الذي أجراها في ولايته على المدينة من قبل معاوية ﷺ، وهي العين التي كانت تسقي أهل المدينة وتملأ منها دوارق الحرم النبوي وأصل منبعها بئر في حديقة نخيل غربي مسجد قباء وتجرى مياهها وتتفرع مناهلها في نواحي المدينة المختلفة، أصابها الخراب في بداية العصر العثماني ثم عمَّرها السلطان سليمان سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٦م. كبريت. محمد بن عبد الله الموسوي (١٠١٢ – ١٠٧٠هـ): رحلة الشتاء والصيف، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط٢، دمشق – بيروت، ١٣٨٥هـ، ص ١٤؛ وجدي: دائرة معارف...، مرجع سابق، ٨/٥٣٠، ٥٣٥؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة ...، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٤٦) الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٨.

(٤٧) العالية: ضد السافلة، وعالية المدينة هي ما كان في جهة قبلتها من حيث يأتي وادي بطحان في قباء، وهي عامرة بالبساتين وحدائق النخيل، وسميت بذلك لعلو موقعها بالنسبة للمدينة وتقابلها السافلة ولذلك يقال نزلنا من العوالي أو العالية إلى المدينة وطلعنا من المدينة إلى العالية. الأنصاري. عبد القدوس: آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ص ٢٣٦؛ كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٥٨؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة ...، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

(٤٨) بُضاعة بضم الباء الموحدة على المشهور، وحكي كسرها وفتح الضاد المعجمة بئر حاء إلى جهة الشمال يستشفى بالغسل من مائها. الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، مصدر سابق، ص ٥١؛ الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٣٨؛ البرزنجي. جعفر بن إسماعيل المدني: تاريخ المسجد النبوي المسمى، نزهة الناظرين في تاريخ مسجد

سيد الأولين والآخرين، مطبعة الجمالية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م، ١١٥.

(٤٩) بقيع الغرقد: مقبرة تقع جنوب شرق المدينة المنورة دفن بها أكثر من عشرة آلاف صحابي، سميت بالغرقد لكثرة هذا النوع من الشجر فيها. الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، مصدر سابق، ص٥٠؛ المكناسي. محمد بن عبد الوهاب: رحلة المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب (١٧٨٥م)، تحقيق. محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢٥٩؛ الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٢.

(٥٠) كانت المدينة المنورة محاطة بسورين على كل سور منهما أربع أبواب، يقابل كل باب في أحدهما باباً في الآخر، يتميز الخارجي منهما بأنه كان مصفحاً بالحديد، جدد السلطان سليمان القانوني بن سليم الأول بنائه بين سنتي ٩٣٧- ٩٤٨هـ / ١٥٣١- ١٥٤١م وعمل القلعة حتى غدا أعظم البواب وأضخمها، وأبواب هذا السور تحمل أسماء البلاد والأماكن المواجهة لكل منها فالباب الغربي يسمى باب المصري الموالي للسوق، وينفذ إلى منه إلى المناخة التي تنيخ فيها إبل القوافل القادمة من مصر وجهتها، والباب الشمالي يسمى الباب الشامي الكبير ينفذ منه لطريق الجُرف المؤدي إلى جهة بلاد الشام، والباب الشرقي يسمى باب البقيع أو باب الجمعة وينفذ منه إلى بقيع الغرقد، والباب القبلي ويسمى باب الشامي الصغير وينفذ إلى المناخة أيضاً، وأما القلعة المذكورة فكانت في طرف السور الغربي الشمالي بين بابي الشامي الكبير والصغير. النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٤٣، القيسي. أبو عبد الله محمد بن أحمد (الملقب بابن مليح): أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، ١٠٤٠ – ١٠٤٢هـ / ١٦٣٠ – ١٦٣٣م، حققه وعلق عليه: محمد الفاسي، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، سلسة الرحلات ٥، حجازية ٢، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، المملكة المغربية، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ١٠٢؛ البلهيشي. محمد صالح: المدينة.. اليوم، المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر الهجري، غرة المحرم ١٤٠١هـ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط ١، ١٤٠٢هـ، ص ٣٠.

(٥١) النابلسي: الحقيقة والمجاز...، مصدر سابق، ص ٣٤٤؛ الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٣٨/٢؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٩٥؛ عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ٢٥٠.

(٥٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١ / ٤١٣، أمحزون: المدينة المنورة ...، مرجع سابق، ص ١٥٧؛ كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ٩٣.

(٥٣) النابلسي: الحقيقة والمجاز ..، مصدر سابق، ص ٤٠٧، المرديس: المدينة المنورة ...، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٥٤) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٣١.

(٥٥) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(٥٦) حافظ. علي: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط ٣، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٨٢، البلهيشي: المدينة..، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٥٧) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ص ٤١٦، ٤١٧.

(٥٨) أَرِيس: على وزن جليس، بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون المثناة تحت، وآخره سين مهملة. بئر بالمدينة مقابل مسجد قباء في جهته الغربية بينهما حوالي ٤٢ متراً من باب المسجد القديم وسبب تسميته بأريس أنه ينتسب إلى رجل من يهود المدينة، ويسمى أيضاً بئر الخاتم بعدما سقط فيه خاتم النبي ﷺ، من يد عثمان ﷺ بعد ستة أعوام من خلافته. الفيروز آبادي: المغانم المطابة...، مصدر سابق، ص ٢٥؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٦٤؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ص ٤٩٠، ٤٩١.

(٥٩) الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٣٥؛ حافظ. علي: فصول...، مرجع سابق، ص١٨٧.

(٦٠) عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ٢٤٣.

(٦١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٩؛ ابن عبد القادر: الرحلة ...، مصدر سابق، لوحة ٨٤/ أ؛ كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ الجاسر: في رحاب الحرمين، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(٦٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٩.

(٦٣) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٩١.

(٦٤) الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ١٩.

(٦٥) الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٦٩، ٤٩١.

(٦٦) ابن عبد القادر: الرحلة ...، مصدر سابق، لوحة ٨٤/ أ.

(٦٧) غُرْس: بضم المعجمة وسكون الراء، وقيل بل بفتح فسكون والغَرْس هو الفسيل من الشجر يغرس لينبت، وضبطه بعضهم بالتحريك غَرَس كشَجر. الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٣٩، ٤٠؛ البرزنجي: تاريخ المسجد النبوي ...، مصدر سابق، ص ١١٥؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة ...، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٦٨) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٦٥؛ كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ٩١، الخياري: تاريخ معالم المدينة ...، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

(٦٩) العياشي: الرحلة، مصدر سابق،٤١٥/١؛ أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص١٦١؛ الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٤.

(٧٠) الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٩٦.

(٧١) القيسي: أنس الساري والسارب ...، مصدر سابق، ص ١٠٥؛ كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٥٨.

(٧٢) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ص ٣٨٨، ٣٨٩.

(٧٣) البُصَّة هكذا بضم الباء الموحدة وتشديد الصاد المفتوحة من بصَّ الماء بصَّاً أي رشح أو بضم الباء الموحدة وتخفيف الصاد المهملة كما هو الدائر على ألسنة أهل المدينة المنورة، ذكرها الفيروز آبادي باسم البُضَّة وهي بئران كبرى وصغرى والكبرى هي المقصود. الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٤؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة...، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٧٤) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٦٥؛ حافظ. علي: فصول...، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٧٥) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٣؛ أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ص ١٥٤، ١٥٥.

(٧٦) الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٩٤.

(٧٧) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٣٥.

(٧٨) بفتح الموحدة وكسرها، وبفتح الراء وضمها وبالمد فيهما وإذا اعتبرت بير حاء كلمة واحدة فهي تقرأ بالمد والقصر ومعناها مأخوذ من البراح وهو الأرض المنكشفة، ولكن البعض يعدهما كلمتين بئر أضيفت لها حاء وهو اسم رجل أو امرأة أو مكان. الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٣٩/٢.

(٧٩) الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٥؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٦٥.

(٨٠) التونسي. السيد محمد بيرم الخامس: صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار والأمصار، المكتبة الإعلامية، بمصر، ١٣٠٣هـ، ٥/ ٢٨.

(٨١) أصبحت البئر والحديقة اليوم داخل المسجد النبوي بعد توسعة الملك فهد يرحمه الله على مقربة من الباب رقم ٢١ (باب الملك فهد) وقد رآها الباحث ووقف على علاماتها بنفسه.

(٨٢) المرديس: المدينة المنورة ...، مرجع سابق، ص ص٨٧ ، ٨٨.

(٨٣) القيسي: أنس الساري والسارب ...، مصدر سابق، ص ١٠١.

(٨٤) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٤؛ أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٨٥) الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٩٤.

(٨٦) رُومَة: بضم الراء وبالهمز ودونه، وهي بئر جاهلية سميت باسم صاحبها الذي نسبت إليه رومة وهو رجل من غِفار أو مُزينة أو من اليهود، اشتراها عثمان رضي الله عنه وتصدق بها على المسلمين في المدينة بعد الهجرة. الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٣٩/٢؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٩٥.

(٨٧) العقيق: وادي كبير غرب المدينة المنورة وراء الحرة الغربية يبلغ طوله حوالي ١٥٠كم. الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٧١/٢؛ البلهيشي: المدينة..، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٨٨) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٦٥، المرديس: المدينة المنورة ...، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٨٩) عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ص١٩٧، ٢٤٤.

(٩٠) الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٣٩/٢.

(٩١) بينها وبين المسجد النبوي أربعة أكيال في جهة بلاد الشام. أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٩٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٤.

(٩٣) الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٩٥.

(٩٤) العِهْن بكسر فسكون ومعناه الصوف الملون، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم اليسيرة من اليسر ضد العسر الذي كان يطلق عليها أولاً، وهي بئر مليحة منقورة في الجبل ومكانها مشهور في منطقة العوالي. الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٣٩/٢.

(٩٥) الفاسي. تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢ هـ): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ٢/ ٤٤٥؛ ابن الضياء. محمد بن أحمد: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، ط:٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص٣٠١؛ الخياري. أحمد ياسين: تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، ط:٤، دار العلم، جدة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٤٦.

(٩٦) المشربة بفتح الميم هي الغرفة المرتفعة وقيل هي البستان أو الأرض اللينة الصالحة للزراعة، والظاهر أنها عُليَّة –أي حجرة واحدة– في بستان، وأم إبراهيم هي مارية القبطية كان النبي ﷺأنزلها هناك في بستان له وكان يختلف إليها ويصلي عندها حتى ولدت له ابنه إبراهيم فيه وهي اليوم محاطة بسور من السمنت وحولها مقبرة معروفة في العوالي. الفراهيدي. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ): العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د – ت)، ٦ / ٢٥٧؛ الخياري: تاريخ معالم المدينة ...، مرجع سابق، ص ص ١٢١، ١٢٢.

(٩٧) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ٩٥.

(٩٨) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٨٩، ٣٩٠، النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٦٥؛ الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٣٩/٢؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٩٦.

(٩٩) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٥٦.

(١٠٠) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٩١.

(١٠١) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

(١٠٢) وهذه قصيدة طويلة اخترت منها ما يختص بوصف البستان وما فيه من مقومات الطبيعة الجميلة التي تستقطب إليه أهل المدينة وزوارها. النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

(١٠٣) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

(١٠٤) يسمى بمسجد الجمعة ومسجد بني سالم ومسجد الوادي ومسجد القبيب، ومسجد عاتكة، وموقعه على يمين المتجه من قباء إلى المسجد النبوي حيث يبعد حوالي ثمانمائة متر باتجاه الشمال. ابن شبة. عمر بن شبة النميري: تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة ،١٣٩٩هـ، ٦٨/١؛ السخاوي. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: مجموعة محققين، ط:٣، مركز بحوث ودراسات المدينة، المدينة المنورة، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٨م، ١٢٤/١؛ السمهودي: وفاء الوفاء...، مصدر سابق، ٣٠/٣؛ عبد الغني: المساجد الأثرية...، مرجع سابق، ص٦٦، صباغ: الإصابة ...، مصدر سابق، ص ٩٢.

(١٠٥) رانوناء: راء وألف ونون وواو ثم نون وألف ممدودة. شُرَّاب: المعالم الأثيرة ...، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(١٠٦) ذكر من أتى بعد العياشي من الرحالة أن مسجد الجمعة على يمين الذاهب إلى مسجد قباء، فالذي يبدو لي أن من ذكر ذلك يقصد الذاهب من طريق كان يمر وسط النخيل وهو خلاف طريق الحرة الغربية المذكور أعلاه. الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ١٩؛ الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٢؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٨١.

(١٠٧) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٨٨؛ الجاسر: في رحاب الحرمين، مرجع سابق، ٢٣٠/١٢؛ حافظ. علي: فصول...، مرجع سابق، ص ١٣٩؛ صباغ: الإصابة ...، مصدر سابق، ص ٩٣.

(١٠٨) الأنصاري. عبد الرحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني (ت ١١٩٥هـ): تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق : محمد العرويسي المطوي، المكتبة العتيقة، ط١ ، تونس، ١٣٩٠هـ. ١٩٧٠م، ١/ ٢٠٩.

(١٠٩) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٤.

(١١٠) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٦٨.

(١١١) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ص ١٦٨، ١٦٩.

(١١٢) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٠٧.

(١١٣) الأنصاري: تحفة المحبين...، مصدر سابق، ١/ ٢٨٣.

(١١٤) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ الأنصاري: تحفة المحبين...، مصدر سابق، ١/ ١٨٦.

(١١٥) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٢٤.

(١١٦) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ص ٤٢١، ٤٢٢.

(١١٧) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٢٢.

(١١٨) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ص ١٤٧، ١٤٨.

(١١٩) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٣٦٥.

(١٢٠) النابلسي: الحقيقة والمجاز ...، مصدر سابق، ص ٤٣١.

(١٢١) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(١٢٢) الأنصاري: تحفة المحبين...، مصدر سابق، ١/ ١٦.

(١٢٣) الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٨.

(١٢٤) لعل تسمية الوادي بهذا الاسم تعود لاسم شخص كان يمتلك أحد البساتين والحدائق في أعالي هذا الوادي. عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ٢٣٣.

(١٢٥) السَيْح بفتح السين وسكون المثناة التحتية مصدر سايح يسيح، اسم لما حول مساجد الفتح. كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٢٠؛ الأنصاري: تحفة المحبين...، مصدر سابق، ١/ ٢٧٩.

(١٢٦) الزامل: المدينة المنورة ...، مرجع سابق، ص ٣٧.

(١٢٧) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٩، ٤١١؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٥٢٣.

(١٢٨) الجندي اليمني. محمد بن إبراهيم (ت ٣٠٨هـ): فضائل المدينة، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٣٦؛ العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٧، ٤١٨؛ البلهيشي: المدينة..، مرجع سابق، ص ٣٣.

(١٢٩) الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٧١؛ الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٣٤٨؛ البرزنجي: تاريخ المسجد النبوي.، مصدر سابق، ص ٢٣؛ البار. أسامة بن فضل؛ مرزا. معراج بن نواف: طرق الحج من الميقات إلى مكة المكرمة، بحث مقدم إلى ندوة الأبعاد الحضارية لطرق الحج، القاهرة من ١٤ – ١٦/ ٣ / ١٤٢٣هـ، ص ٥.

(١٣٠) مكث العياشي بالمدينة المنورة سبعة أشهر ونصف من ٢ محرم ١٠٧٣هـ / ١٧ أغسطس ١٦٦٢م حتى ١٧ شعبان ١٧٣هـ/ ٢٧ مارس ١٦٦٣م. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٢٣.

(١٣١) السمهودي: وفاء الوفاء...، مصدر سابق، ٣/ ٢٠٧؛ كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ١٢٦؛ شُرَّاب: محمد محمد حسن. أخبار الوادي المبارك، العقيق، مكتبة دار التراث، ط ١، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٤١.

(١٣٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٧، ٤١٨؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ص ٥٢٥، ٥٢٦.

(١٣٣) عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ٢٢٤.

(١٣٤) شُرَّاب: أخبار الوادي المبارك...، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(١٣٥) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ١٢٦.

(١٣٦) إحدى حرتي المدينة المنورة وهي الشرقية منهما، سميت برجل نزلها من العماليق اسمه واقم. الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، مصدر سابق، ص ٩٦.

(١٣٧) السمهودي: وفاء الوفا...، مصدر سابق، ٣/ ٢١٠؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة ...، مرجع سابق، ص ص ٣٥، ١٤٩؛ البلهيشي: المدينة..، مرجع سابق، ص ٣٣.

(١٣٨) عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ٢٣٣.

(١٣٩) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٩.

(١٤٠) الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٧٤؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٥٢٦.

(١٤١) صلاح الدين. بنان محمد: أدب الرحلات من خلال مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ١٦٦١ – ١٧١٠م، بحث منشور في العدد الأول من المجلد التاسع، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ٢٠١٩م، ص ٢٤.

(١٤٢) يسمى هذا الوادي عند المدينة بوادي قناة، فإذا بلغ سد نار الحرة يسمى بالشظاة. الدرعي: الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ٢/ ٧٤.

(١٤٣) إذا تجاوز وادي قناة سد العاقول كان يسمى الشظاة إلى أن يقبل على جبل أحد أطلق عليه أهل المدينة سيل سيدنا حمزة رضي الله عنه لمروره من الجهة الجنوبية للشهداء، ومن ثَمَّ حتى يجتمع ببطحان والعقيق عن مجتمع الأسيال يسمى قناة، فإذا اجتمع مع الأودية المذكورة سمي أضم، وهذه مسميات قديمة، أما الآن فيسمى أعلاه وادي العاقول وعند أحد يسمي سيل حمزة، وإذا اجتمعت الأودية يسمى الخُلَيل فإذا وصل السد سمي واداي الحمض حتى يصب في البحر الأحمر. السمهودي: وفاء الوفا...، مصدر سابق، ٣/

٢١٢؛ عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ٢٣٧؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة ...، مرجع سابق، ص ص ١٤٩، ١٥٠.

(١٤٤) زغابة هي في طريق العيون وما بعدها من منطقة الخليل المعروفة شمال غرب جبل أحد. البار، مرزا: طرق الحج ...، مرجع سابق، ص ٥.

(١٤٥) الصاعدي، وزميله: أُحُد ...، مرجع سابق، ص ٣٤.

(١٤٦) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٢٠، ٤٢١؛ البلهيشي: المدينة..، مرجع سابق، ص ٣٤.

(١٤٧) عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ٢٣٧.

(١٤٨) كبريت: الجواهر الثمينة ...، مصدر سابق، ص ص ١٨٨، ١٨٩.

(١٤٩) الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٥٢٧؛ عبد القدوس: آثار المدينة المنورة...، مصدر سابق، ص ٢١٧.

(١٥٠) التونسي: صفوة الاعتبار...، مصدر سابق ٤ / ١٤٦، ١٤٧.

(١٥١) بو زوادة. حبيب: سيميائية الفضاء المقدس في الرحلات الحجازية الجزائرية، (رحلة الحسين الورثيلاني نموذجاً)، بحث منشور ضمن مجلة دراسات أدبية، العدد السادس / يونيو ٢٠١٨م، جامعة معسكر الجزائرية، ص ص ١٥، ١٦.

(١٥٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ١١٧؛ المرديس : المدينة المنورة ...، مرجع سابق ص ص ١٥٦ ، ١٥٧.

(١٥٣) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ٣٨٥/١

(١٥٤) التونسي: صفوة الاعتبار...، مصدر سابق، ٥ / ١٨.

(١٥٥) التونسي: صفوة الاعتبار...، مصدر سابق، ٥ / ٢٩.

(١٥٦) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ٣٩٣/١؛ أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٥٧) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٥٦، ٤٥٧؛ الناصري. أبو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م): الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة وتحقيق: المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للنشر والطبع، الطبعة الأولى، الرباط، المملكة المغربية، ٢٠١٣م، ٥٨٨/٢.

(١٥٨) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٥٦.

(١٥٩) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٢٩٤.

(١٦٠) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٢٤٧، ٣٨٥.

(١٦١) من الجدير بالذكر أن هذه الممارسات التي انتقدها ابن عمار كانت ضمن حالات التنزه المصاحبة للاحتفالات البدعية فقط أما متنزهات العائلات والأسر فلم يرصد المؤرخون والرحالة حالة سلبية واحدة فيما وقفت عليه. ابن عمَّار. أبو العباس أحمد (مفتي الجزائر ١١٦٦هـ): نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانا بالجزائر، ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، ص ص ٩٣ – ٩٤.

(١٦٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٥٧.

قائمة المصادر والمراجع

(أولاً) المصادر العربية المخطوطة.

(١) الإسحاقي. محمد الشرقي بن محمد: رحلة الإسحاقي صحبة الأميرة خناثة بنت بكار زوجة مولاي إسماعيل سلطان المغرب الأقصى (سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣١-١٧٣٢م) " مخطوط بالخزانة الملكية بالقصر الملكي في مدينة الرباط، المملكة المغربية، تحت رقم ١١٨٦٧.

(٢) الحضيكي السوسي. أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ١١٨٩هـ) : الرحلة، (سنة ١١٥٢هـ / ١٧٤٠- ١٧٤١م)، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط، المملكة المغربية، تحت رقم ٤٠٥.

(٣) الدرعي. أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الجعفري الزينبي: الرحلة الناصرية، (سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م)، صورة مخطوط بالأوفست من طبعة حجرية طبعت بالمطبعة الفاسية، عام ١٣٢٠هـ، محفوظة في قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨١٨ جغرافيا، ٢/ ٢٦.

(٤) العياشي. أبو سالم سيدي عبد الله: الرحلة "ماء الموائد " (سنة ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م)، صورة مخطوط بالأوفست من طبعة حجرية، بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٩ جغرافيا.

(٥) الفاسي. أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد القادر: رحلة ابن عبد القادر الفاسي من مدينة فاس إلى مكة والمدينة (سنة ١٢١١هـ /١٧٩٦- ١٧٩٧م)، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٥٤جغرافيا، ميكروفيلم ٧٥٢٦.

(٦) الفاسي. أبو عبد الله محمد بن الطيب: الرحلة الحجازية، مخطوط في خزانة جامعة لايبسك بألمانيا، مكتوب بخط مشرقي تحت رقم: ٧٤٦.

(ثانياً) المصادر العربية المطبوعة.

(١) الأنصاري. عبد الرحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني (ت ١١٩٥هـ): تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق : محمد العرويسي المطوي، المكتبة العتيقة، ط١ ، تونس، ١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م.

(٢) البرزنجي. جعفر بن إسماعيل المدني: تاريخ المسجد النبوي المسمى، نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، مطبعة الجمالية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م.

(٣) التونسي. السيد محمد بيرم الخامس: صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار والأمصار، المكتبة الإعلامية، بمصر، ١٣٠٣هـ.

(٤) الجندي اليمني. محمد بن إبراهيم (ت ٣٠٨هـ): فضائل المدينة، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٥) الزمخشري. محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (٤٦٧ – ٥٣٨هـ): الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق. د/ أحمد عبد التواب عوض، منشورات دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٦) السخاوي. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: مجموعة محققين، ط:٣، مركز بحوث ودراسات المدينة، المدينة المنورة، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٨م.

(٧) السمهودي. علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن (ت ٩١١هـ) : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

(٨) ابن شبة. عمر بن شبة النميري: تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة، ١٣٩٩هـ.

(٩) الشهاب الخفاجي. أحمد بن محمد الخفاجي المصري: شرح درة الغواص في أوهام الخواص (مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»)، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل، ط ١، بيروت – لبنان، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.

(١٠) ابن الضياء. محمد بن أحمد: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، ط:٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

(١١) ابن عمَّار. أبو العباس أحمد (مفتي الجزائر ١١٦٦هـ): نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانا بالجزائر، ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م.

(١٢) العياشي. عبد الله بن محمد بن أبي بكر، أبو سالم (١٠٣٧– ١٠٩٠هـ / ١٦٢٨– ١٦٧٩م): الرحلة العياشية (١٦٦١ – ١٦٦٣م)، تحقيق: د / سعيد

الفاضلي، د/ سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، أبو ظبي الإمارات، ٢٠٠٦م.

(١٣) الفاسي. تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢ هـ): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(١٤) الفاسي. تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢ هـ): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

(١٥) الفراهيدي. الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د - ت).

(١٦) الفيروز آبادي. مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧هـ / ١٣٢٩ - ١٤١٥م): المغانم المطابة في معالم طابة، قسم المواضع، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

(١٧) الفيروز آبادي. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧هـ / ١٣٢٩ - ١٤١٥م): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٨، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

(١٨) القالي. أبو علي إسماعيل بن القاسم (٢٨٠ هـ - ٣٥٦ هـ). المقصور والممدود، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة)، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(١٩) القيسي. أبو عبد الله محمد بن أحمد (الملقب بابن مليح): أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، ١٠٤٠ - ١٠٤٢هـ / ١٦٣٠ - ١٦٣٣م، حققه وعلق عليه: محمد الفاسي، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، سلسة الرحلات ٥، حجازية ٢، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، المملكة المغربية، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

(٢٠) القيسي. أبو علي الحسن بن عبد الله (توفي في القرن السادس الهجري): إيضاح شواهد الإيضاح، تحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

(٢١) كبريت. محمد بن عبد الله الموسوي (١٠١٢ – ١٠٧٠هـ): رحلة الشتاء والصيف، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط٢، دمشق – بيروت، ١٣٨٥هـ.

(٢٢) المكناسي. محمد بن عبد الوهاب: رحلة المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب (١٧٨٥م)، تحقيق. محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٣م.

(٢٣) الناصري. أبو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م): الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة وتحقيق: المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للنشر والطبع، الطبعة الأولى، الرباط، المملكة المغربية، ٢٠١٣م.

(٢٤) النابلسي. عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣هـ): الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: د/ أحمد عبد المجيد هريدي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.

(٢٥) الورثيلاني. الحسين بن محمد: نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تصحيح: محمد بن أبي شنب، مطبعة بير فونتانا الشرقية، الجزائر، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

(ثالثاً) المراجع العربية.

(١) الألباني. أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت١٤٢٠هـ): سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١، الرياض، ١٤١٥ هـ /١٩٩٥م .

(٢) أمحزون. محمد: المدينة المنورة في رحلة العياشي، دراسة وتحقيق، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٣) الأنصاري. عبد القدوس: آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

(٤) البلهيشي. محمد صالح: المدينة.. اليوم، المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر الهجري، غرة المحرم ١٤٠١هـ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط ١، ١٤٠٢هـ

(٥) الزامل الخزرجي. عبد الله فرج: المدينة المنورة. عاداتها وتقاليدها منذ عام ٩٢٥ حتى عام ١٤٠٩هـ، مطبوعات تهامة، ط ١، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

(٦) الجاسر. حمد: في رحاب الحرمين، مجلة العرب، مجلة شهرية تعني بتراث العرب الفكري، ج ٣، ٤، العدد ١٢، رمضان وشوال ١٣٩٧هـ / سبتمبر واكتوبر ١٩٧٧م.

(٧) حافظ. علي: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط ٣، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

(٨) الخياري: أحمد ياسين. تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، ط:٤، دار العلم، جدة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٩) شُرَّاب. محمد بن محمد حسن: أخبار الوادي المبارك، العقيق، مكتبة دار التراث، ط ١، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(١٠) شُرَّاب. محمد بن محمد حسن: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى، دمشق- بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩١م.

(١١) الصاعدي. سعود بن عبد المحيي؛ المحمدي. يوسف بن مطر: أُحُد، الآثار – المعركة – التحقيقات، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية،١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(١٢) صباغ. خالد بن علي بن حسين: الإصابة في معرفة مساجد طابة، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

(١٣) عبد الغني. محمد إلياس: المساجد الأثرية في المدينة النبوية، ط:٢، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(١٤) فرغلي. عبد الرحيم بن فرغلي بن سعيد: النباتات البرية في جبل أحد، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٨هـ.

(١٥) المرديس. عبد الرحمن مرديس: المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(١٦) وجدي. محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.

(رابعاً) بحوث الدوريات والندوات.

(١) البار. أسامة بن فضل؛ مرزا. معراج بن نواف: طرق الحج من الميقات إلى مكة المكرمة، بحث مقدم إلى ندوة الأبعاد الحضارية لطرق الحج، القاهرة من ١٤ – ١٦/ ٣ / ١٤٢٣هـ.

(٢) بو زوادة. حبيب: سيميائية الفضاء المقدس في الرحلات الحجازية الجزائرية، (رحلة الحسين الورثيلاني نموذجاً)، بحث منشور ضمن مجلة دراسات أدبية، العدد السادس / يونيو ٢٠١٨م، جامعة معسكر الجزائرية.

(٣) صلاح الدين. بنان محمد: أدب الرحلات من خلال مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ١٦٦١ – ١٧١٠م، بحث منشور في العدد الأول من المجلد التاسع، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ٢٠١٩م.